سلسلة رواد التقريب ٧



الشيخ محمد جواد مغنية



مهدي احمدي

الشيخ محمّد جواد مغنيّة

تأليف: مهدي أحمدي

تعريب: عبدالحسن نجفي بهبهاني

تحقيق واستدراك: محمّد جاسم الساعدي

سرشناسه	: احمدي، مهدي.
عنوان و پديدآور	: الشيخ محمد جواد مغنية فقيه مجدد / تأليف مهدي احمدي؛ تعريب عبدالحسن نجفي بهباني؛ تحقيق واستدراك محمد جاسم الساعدي.
مشخصات نشر	: تهران: المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، المعاونية الثقافية، ١٣٨٦.
مشخصات ظاهرى	: ١٧٦ ص.
شابک	: 978-964-8889-83-3
وضعيت فهرست‌نويسى	: فيپا.
يادداشت	: عنوان اصلى: محمد جواد مغنيه فقيهى نوگرا.
يادداشت	: كتابنامه: ص [١٥٧] ـ ١٦٧؛ همچنين به صورت زير نويس.
موضوع	: مغنيه، محمد جواد ١٩٠٤ ـ ١٩٧٩ م Maghniyah, Muhammad Jawad سرگذشتنامه.
موضوع	: مفسران شيعه ـ ـ سرگذشتنامه.
شناسه افزوده	: نجفى بهبهانى، عبدالحسن، مترجم.
شناسه افزوده	: ساعدى، محمد جاسم، محقق.
شناسه افزوده	: مجمع جهانى تقريب مذاهب اسلامى. معاونت فرهنگى.
رده‌بندى كنگره	: ١٣٨٥ ـ ٣٣٠٢٣ الف۶ م٩٢/٨/BP.
رده‌بندى ديويى	: ٢٩٧/١٩٢٢.
شماره كتابخانه ملى	: ٢٥٩٠١-٨٥م.



المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

اسم الكتاب:	الشيخ محمد جواد مغنية فقيه مجدد
تأليف:	مهدي احمدي
تعريب:	عبدالحسن نجفي بهباني
تحقيق و استدراك:	محمد جاسم الساعدي
الناشر:	المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية - المعاونية الثقافية
الطبعة:	الاولى - ١٤٢٨ هـ.ق ٢٠٠٧ م
الكمية:	٢٠٠٠ نسخة
السعر:	٩٣٠٠ تومان
المطبعة:	نور
ردمك:	٩٧٨-٩٦٤-٨٨٨٩-٨٣-٣ ISBN:978-964-8889-83-3
العنوان:	الجمهورية الاسلامية في ايران ـ طهران ـ ص. ب: ٦٩٩٥ ـ ١٥٨٧٥
	تلفكس: ١٤ - ٨٨٣٢١٤١١ - ٢١ - ٠٠٩٨

مقدّمة المجمع

بسم الله الرحمن الرحيم

ليس من قبيل الصدفة عدم خفاء دور القادة المفكّرين وعظماء التاريخ العلمي والأدبي في إيجاد الحركات النهضوية والتحوّلات الفكرية والفلسفية الكثيرة في العالم، وما تعكسه من آثار متعدّدة الجوانب على مسيرة البشرية، وتطوّرها على كافّة الأصعدة؛ إذ في غالب الأحوال ثمّة ظروف تعين هؤلاء العظماء على المدّ في تحرّكهم ودفع عجلة نشاطاتهم بالاتّجاه الذي يرغبون فيه، يضاف إليه الأوضاع المعقّدة التي قد تدعو الناس إلى محاولة التغيير ولو بصورة معيّنة وعلى نطاق محدود.

فكلّ تلك العوامل تزيد من مدى طواعية الجماهير باتّجاه هذا القائد الفكري، وتحثّ من خطاه نحو إكمال مسيرته. هذا إذا أضفنا إلى مجموع ما مرّ شخصية القائد الجذّابة، والخصائص الفذّة التي يتمتّع بها.

من الصعب أن تشهد رجالاً من هذا الطراز قادوا «انقلابات» فكرية وثقافية في مجتمعاتهم مع وجود المال والناصر.

لكن أن تجد رجالاً قاموا بنهضات وحدوية بمفردهم، وجمعوا شتات أُممهم العريضة بهمّة عالية أثارت إعجاب الآخرين، فهذا هو الصعب والعسير المنال؛ لأنّهم لم يسندوا تحرّكاتهم على الرجال والأنصار، ولم يجلسوا على كنوز الذهب التي تترى على البعض من جهات مختلفة.

إنّ المصلحين العظام لم يقودوا حملاتهم النهضوية ضمن فئات محدودة أو جماعات قليلة ليدرجها المضطّلعون في خانة المساعي الهيّنة، بل كانت دعوات بعضهم تشمل أطراف الأُمّة الكبيرة التي يبلغ تعداد نفوسها أكثر من مليار نسمة! هذا إذا أضفنا إلى ذلك الجماعات والجهات المخالفة التي لم تأن في استخدام كلّ ما لديها من الحيل لنزع

فتيل حملتهم، واستحلال ساحتهم ولو بالتصفية الجسدية!

وهذا ما دعا التاريخ إلى حفظ أسماء هؤلاء الثلّة الرائعة بعدما رفعها عالياً، فكانت بمثابة شموس مضيئة أشرقت بنورها على الناس، الذين لم يألوا جهداً في تسجيل مواقفهم وإبراز احتراماتهم تجاههم.

إنّ وصول هؤلاء الرجال في ميدان الإصلاح الاجتماعي والتقريب بين المذاهب الإسلاميّة إلى هذا المستوى من الرقي والعالمية إنّما كان مبنياً على استراتيجية ثابتة منتقاة من الفكر والثقافة القرآنية والأدب النبوي الشريف وتربية أهل بيت النبوّة الطاهرين والسيرة التي تابع الصحابة عليها بإحسان، ولم تكن حركة خبط عشواء، أو حاطب ليل، وأيضاً لم تكن على أُسس شخصية ومصلحية فردية أو أُسرية.

ففي الوقت الذي يجوب بعضهم العالم بأسره للقاء الزعماء السياسيّين ومسؤولي الدول، يطوف بعضهم الآخر البلدان والقرى، قاطعاً المسافات البعيدة من أجل بثّ فكرة التقريب ووحدة الصفّ، ومحاولة إقناع النخب من تمكين فكرة التقريب، والحوار الهادئ، واحترام الغير في نفوس مؤيّديهم.

ولعلّ من أبرز هؤلاء الطليعة التي ترجمها المجمع بعنوان «روّاد التقريب»، الذين بذلوا جهوداً جبّارة في هذا السبيل، وأبدوا كثيراً من النشاطات العلمية على مستوى الرسائل والكتب من أجل معالجة المتطلّبات الملحّة التي تحتاجها حركة التقريب بين أفراد الأُمّة الإسلاميّة.

وفي الوقت الذي نشكر فيه جهود الأُستاذ الفاضل الأخ محمّد الساعدي، وما أبداه من تعاون مثمر على صعيد تحقيق وتوثيق واستدراك هذا الكتاب، نقدّر جهود كلّ من ساهم في نشر وإعداد هذا السفر الجليل. والحمد لله ربّ العالمين.

المعاونيّة الثقافيّة للمجمع العالمي
للتقريب بين المذاهب الإسلاميّة

كلمة المحقّق

لا يخفى على المراقب الحصيف دور رجال لتقريب وروّاده في نشر وترويج الفكر الإصلاحي في الأوساط الثقافيّة والفكريّة الإسلاميّة وعلى أكثر من مستوى.

ولم يقف دورهم عند هذا الحدّ، بل تعدّاه إلى مستوى أكثر فاعلية، بعدما فتحوا الأبواب لدخول «الأفكار الأُخرى» وسلّطوا الأضواء على المباحث العلميّة الجادّة في سبيل رفعة الإسلام ورفرفة رايته الفضفاضة، بحيث يتسنّىٰ للأجيال اللاحقة متابعة الحقيقة بأبهى صورها.

إنّ هكذا رجال وأصحاب قلم وفكر إصلاحي وتقريبي بحاجة إلى برنامج للتعريف بهم لأجيالنا اللاحقة، والدفاع عن مبادئهم وشعاراتهم التي فدوا نفوسهم الزكية وأموالهم الطيّبة وأوقاتهم الشريفة من أجلها.

ولعلّها أمانة هي في رقاب كلّ المصلحين والتقريبيّين. وهذا بالضبط ما دعاني إلى تلبية دعوة المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلاميّة إلى تحقيق مجموعة «طلايه داران تقريب» (روّاد التقريب) وتهذيبها والاستدراك عليها.

وقد كان منهجي في التحقيق كمايلي:

١ ـ متابعة التعريب الذي تمّ على النصّ الفارسي للكتاب، والإشراف على الترجمة، وتهذيب بعض بنودها التي رأيتها مناسبة أكثر لموضوع الكتاب، وسبك العبارات بأُسلوب عصري حديث.

٢ ـ تقويم متنه، وتصحيح الأخطاء الواردة فيه، وإصلاح ما يلزم.

٣ ـ متابعة مراحل الطبع والمقابلة بكلّ تداعياتها.

٤ ـ ترجمة الأعلام الواردة أسماؤهم في المتن ليتسنّىٰ للقارئ اللبيب الإحاطة

بأخبارهم، والاطّلاع على أحوالهم وما قدّموه من آثار.

٥ ـ توثيق الموارد التاريخيّة واللغويّة والحديثيّة والسياسيّة وغيرها الواردة في الكتاب.

٦ ـ كتابة الاستدراكات التي تتعلّق بحياة وسيرة المترجم لهم والمراحل التي تتمحور حولها شخصياتهم، والتي لم يتسنّ للنصّ الفارسي الأصل استيفائها وإيرادها في هذا الكتاب، فلاح لي ضرورة الاهتمام بهذا الجانب الحيوي، ومتابعة المسألة بصورة جدّية في الهامش على أن لا تكون متجاوزة لحدود الكتاب، وبالتالي يمكن أن تساهم هذه الاستدراكات في زيادة اطّلاع القارئ على ملابسات حياة الشخصية المترجم لها. وقد رمزت للاستدراك بهذه العلامة (*).

هذا وأسأل المولى عزّ وجلّ التوفيق لخدمة التقريب بين مذاهب الأُمّة الإسلاميّة والإصلاح أكثر فأكثر. ولا يفوتني أن أُعرب عن شكري وتقديري إلى المجمع العالمي للتقريب، وأخصّ بالذكر سماحة حجّة الإسلام والمسلمين الشيخ علي أصغر الأوحدي (حفظه الله) على إتاحته الفرصة لي للمساهمة في إنجاز هذا العمل على أحسن ما يرام إن شاء الله، وآخر دعواهم أن الحمد لله ربّ العالمين.

محمّد الساعدي

٥ / ذو الحجّة / ١٤٢٧ هـ

الفصل الأوّل :

مرحلة الطفولة والتحصيل الدراسي



آل مغنيّة

آل مغنيّة من الأُسر الشهيرة في بيروت التي عرفت بالعلم والفضل والأدب. وقد بزغ فيها رجال كثيرون عرفوا بالعظمة والشرف.

وتجدر الإشارة إلىٓ أنّ لفظة (مغنيّة) تقرأ بضمّ الميم وبفتحها معاً.

أمّا عن وجه التسمية (بناءً على الفتح) فيعود إلى الجدّ الأعلى لهذه الأُسرة، والذي كان يعيش في القرن السادس الهجري في مدينة في الجزائر تدعى بهذا الاسم (مغنيّة)، انتقل منها فيما بعد إلى جبل عامل(*). ولعلّ التسمية هذه تعود إلى

(*) جبل عامل مستعمرة لبنان:

إلى جنوب لبنان القديم أرض مكتظّة بجبال لا يحصىٰ عددها، تختلف علوّاً وانخفاضاً، فيرتفع أعلاها عن السطح البحر ألف متر أو فوقها بقليل، ثمّ تتفاوت في النزول حتّىٰ يبلغ الأدنى المائة أو ما يقرب منها. وهي في تقاربها ودنو بعضها من بعض كأصابع الكفّ يخالها الرائي من بعيد جبلاً علىٰ هيئة سلّم، لم تنظّم درجاته ومراقيه. تدعىٰ هذه الجبال التي هي كالجبل الواحد علىٰ لسان عارفيها بـ(جبل عامل)، وربّما كان هذا هو السرّ بتسميتها بصيغة المفرد دون الجمع.

وقد شاء الفرنسيّون وأذنابهم أن يُسّمىٰ هذا الجبل بالجنوب تمويهاً بأنّه جزء من لبنان، له ما للبنان وعليه ما عليه، ولكن لبنان أصبح دولة وجبل عامل من مستعمراته! يدرّ عليه غُلّاً وسمناً، ينتشر علىٰ رؤوس تلك الجبال قرىٰ ومزارع هي في عين الناظر البعيد رجم وآكام، وفي عين الرائي القريب قبور وأجداث.

الغنم والغرم:

قرىٰ جبل عامل فرّت من لبنان لمّا رأت نفسها عند حكّامه ونوّابه، في مكان الوصيف، ←

← وغيرها في مكان السيّد. رأت لغيرها الغنم وعليها الغرم، لغيرها المدارس والمستشفيات والطرقات.. وعليها دفع الضرائب والنفقات! لغيرها الصحّة والعلم.. ولها الجهل والأمراض! لغيرها العيون الجارية والرياض الزاهية... ولها المستنقعات الراكدة والأشواك الدامية! لغيرها المقامي والملاهي والثراء.. ولها التعب والجوع والعراء!
ولو عدّدت قرىٰ جبل عامل قرية قرية وما لحقها من الإهمال لأخرجت عدّة مجلّدات! لذلك أختصر علىٰ وصف بعضها، وأجعله نموذجاً تعلم منه حال بقيّة القرىٰ، كما يقدّم التاجر نموذجات لأنواع بضاعته. ولأكون علىٰ هدىً في القول، أصف الناحية التي أُقيم فيها، لأنّني شاهدت بنفسي نكباتها.
لقد شاءت الأقدار أن أجعل مقرّي في قرية من قرىٰ الشعب تدعىٰ «طير حرفا» تقع وسطاً بين (شمع) و(الجبين) و(مجدل زون) و(يارين) وما يتبعها. تحيط بهذه القرىٰ الأوعار، وتملأ أرضها الصخور والأحجار، يصعد قاصدها جبلاً ويهبط وادياً، فلا يصلها حتّىٰ يبلغ التعب والكلل منه مبلغه، إنّ هذه القرىٰ البائسة علىٰ ما بينها من قرب الجوار ودنو الدار ليس فيها مدرسة تأوي إليها الأطفال الذين يقضون حياتهم بين الحيوانات ولعباً مع الكلاب!

الصحّة العامّة:
أمّا الحالة الصحيّة فالحديث عنها ذو شجون وفنون! في سنة ١٩٤٥ م فتكت بهذه القرىٰ الملاريا فتكاً ذريعاً، فلم يسلم منها واحد بالمائة، وأودت بحياة المئات، فمات من (مجدل زون) وحدها سبعون شخصاً علىٰ التقريب، مع أنّه لا يتجاوز عدد سكّانها أربع مائة شخص! للعجز عن العلاج والتطبيب، حتّىٰ باع أهل القرية الحبوب، وشطراً من الحيوانات التي يضطرّون إليها للفلاحة والزراعة، وأنفقوا الثمن علىٰ الدواء والأطبّاء، ولكن علىٰ غير جدوىٰ، وأخبر مختار القرية طبيب البلدية في صور بالحالة، فلم ترسل الحكومة طبيباً ولا ممرّضاً ولا حبّة من الكينا، وأشدّ من المرض وقعاً الوصول إلى الطبيب لعدم تسهيل المواصلة، وإذا طلبوا أيّ طبيب إليهم تقاضىٰ منه ليرة أجر ذهابه وإيّابه، فكانوا إذا لم يستطع المريض الركوب علىٰ الدابّة يضعونه في نعش الأموات، ويحملونه علىٰ الرؤوس والأكتاف كما يحملون الميّت ليوصلوه إلى طريق السيارات، فيوحي هذا المنظر المخيف في نفس
←

أسباب محلّية صرفة(١).

ويعدّ العلّامة الشيخ عبدالكريم بن محمود بن محمّد بن مهدي العاملي من الوجوه البارزة التي تنتسب إلى هذه الأُسرة، عرف بالفضل، وكان عالماً جليل القدر.

جدّه الأعلى هو الشيخ مهدي الذي كان من علماء عصره ومن المعاصرين للشيخ عبدالنبي الكاظمي(٢)، من سكنة جبل عامل.

← المريض هواجس الموت، فيزيد في علّته، وربّما قضىٰ علىٰ حياته! وكان حاملوه كلّما مشوا قليلاً وضعوه علىٰ الأرض واختبروه هل مات من الخوف وحرارة الشمس ولفحات الهجير! وإنّي أعرف أفراداً معرفة شخصيّة ماتوا علىٰ هذه الحالة المشجية قبل أن يبلغوا الطريق العامّ!

الماء وحفلة الزفاف:

أمّا العطش وعدم وجود الماء فأكتفي بنقل نادرة طريفة تدلّ علىٰ كلّ ما يتّصل بالموضوع، كما تمثّل جهل العوام وسيرهم من غير وعي وشعور.

في سنة ١٩٤٦ م وقع العامليّون في شدّة وضيق من جرّاء تأخّر الري، وكان نصيب الشعب من هذه البلاء وافراً، فكان السكّان يقضون الليالي والأيّام الطوال لا يغسلون ثيابهم وأبدانهم لفقدان الماء، وصادف في هذه الفترة زفاف عروس إلى عريسها، فاستعدّ شلّة من شباب القرية، وهيّأ كلّ واحد منهم قليلاً من الماء لغسل ثيابه وبدنه استعداداً لحفلة الزفاف، ونظراً لقلّة الماء وعدم كفايته لتنظيف الثياب والبدن معاً، كانت ربّة البيت تغسل الثياب بالماء أوّلاً حتّىٰ تصبح غُسالة الثياب كالقطران، ثمّ تجمعها ثانياً ليغتسل بها صاحب الثياب، وتنتقل القذارة من ثيابه إلىٰ وجهه وبدنه، وبعد هذه العملية السوداء يلبس المغتسلون ثيابهم، ويحملون طلبهم، ويطبّلون وينشدون للبك والنائب حتّىٰ يبست منهم الحناجر، وبحّت الأصوات، وكلّت القلوب والأبدان! (تجارب محمّد جواد مغنيّة بقلمه: ١٠٠ ـ ١٠٣).

(١) محمّد جواد مغنيّة (حياته ومنهجه في التفسير): ١٧.

(٢) عبدالنبي بن علي بن أحمد بن جواد الشيبي المدني الكاظمي العاملي: عالم إمامي محقّق خبير بالفقه والأُصول والحديث والرجال. ولد في الكاظمية سنة ١١٩٨ هـ، وتتلمذ على: ←

ابنه الشيخ محمّد هو الآخر يعدّ من كبار العلماء، كما أنّ حفيده أيضاً من العلماء البارزين في تلك المنطقة(١).

والده

والد الشيخ محمّد جواد مغنيّة ـ ويدعى الشيخ محمود مغنيّة ـ من علماء لبنان البارزين. ولد عام ١٢٨٩ هـ في النجف الأشرف، ورحل مع أبيه إلى جبل عامل حيث نشأ وترعرع هناك. درس المقدّمات والفقه والأُصول، ثمّ قفل راجعاً إلى النجف الأشرف؛ لينتهل من معين علماء عصره، من قبيل: المحقّق النائيني(٢)،

← السيّد محمّد رضا شبّر، وولده السيّد عبدالله شبّر، وأسد الله التستري. وجدّ واجتهد حتّى صارت له يد طولى في كثير من العلوم. ارتحل إلى جبل عامل بعد سنة ١٢٤٤ هـ، فسكن قرية جويا، ورأس هنا، وعظّمه الأُمراء. ألّف كتباً ورسائل، منها: العقود المنثورة في كلّيات الفقه، شرح القواعد، فصل الخطاب في الأُصول، تكملة نقد الرجال. توفّي في جويا سنة ١٢٥٦ هـ. (تنقيح المقال ٢: ٢٣٢، أعيان الشيعة ٨: ١٢٧ ـ ١٢٨، الذريعة ٤: ٤١٧).

(١) انظر گنجينه دانشمندان (كنز العلماء) ٣: ٢٧١.

(٢) محمّد حسين بن عبدالرحيم بن محمّد سعيد النائيني النجفي: من أعلام الإمامية. ولد في يزد سنة ١٢٧٧ هـ، درس العلوم الإسلامية في أصفهان، ثمّ قصد العراق سنة ١٣٠٣ هـ، فاختلف إلى حلقات بحث الأعلام: السيّد محمّد حسن الشيرازي، والسيّد محمّد الفشاركي، والسيّد إسماعيل الصدر. وأخذ التفسير والحديث عن: فتح علي الگنابادي، والميرزا حسين النوري. استقلّ بالتدريس والبحث بعد وفاة الآخوند الخراساني، فأبدى مقدرة وكفاءة عالية، وتخرّج على يديه جملة من كبار العلماء، كالسيّد الخوئي، والسيّد محمود الشاهرودي، والسيّد حسن البجنوردي، والميرزا باقر الزنجاني. من مؤلّفاته: حاشية العروة، رسالة في اللباس المشكوك، رسالة في التعبّدي والتوصّلي، تنبيه الأُمّة وتنزيه الملّة. توفّي سنة ١٣٥٥ هـ. (معارف الرجال ١: ٢٨٤ ـ ٢٨٨، الذريعة ٤: ٤٤٠ و٦: ١٤٩، معجم رجال الفكر والأدب ٣: ١٢٦١ ـ ١٢٦٢).

والمحقّق الأصفهاني(١)، والمحقّق ضياء الدين العراقي(٢). بعد ذلك عاد إلى لبنان وأقام في قرية تدعى «معرة»، واشتغل بالتأليف وإرشاد الناس.

من جملة الاهتمامات التي كان الشيخ محمود يشتغل بها عندما كان في النجف الأشرف هو نظمه للشعر الديني.

وقد جاء في كتاب «تكملة أمل الآمل» في وصف الشيخ محمود ما هذا نصّه: «الشيخ محمود ابن الشيخ محمّد مغنيّة العاملي: عالم فاضل، من أهل الغور والتحقيق في المطالب العلمية، ذو نابغية، قلّ في معاصريه من العرب من وصل إلى

---

(١) محمّد حسين بن محمّد حسن بن علي أكبر الأصفهاني النجفي: كان فقيهاً إمامياً أُصولياً فيلسوفاً بارعاً. ولد في الكاظمية سنة ١٢٩٦ هـ، وتعلّم بها، وقصد النجف، وحضر دروس الأعلام: السيّد محمّد الفشاركي، والآخوند الخراساني، ورضا الهمداني، ومحمّد باقر الإصطهباناتي. برع في الفلسفة فألقت نزعته الفلسفية بظلالها على جميع آثاره وأبحاثه، بل حتى بعض أراجيزه في مدح أهل البيت عليهم السلام. بزر كأُستاذ قدير ذي مكانة سامية في الأوساط العلمية، وأصبح أحد مراجع التقليد والفتيا ألّف مايربو على ثلاثين كتاباً، منها: نهاية الدراية، الوسيلة، الأنوار القدسية، ديوان شعر بالفارسية. توفّي في النجف عام ١٣٦١ هـ. (شعراء الغري ٨: ١٨٣ ـ ١٩١، معارف الرجال ٢: ٢٦٣ ـ ٢٦٧، موسوعة طبقات الفقهاء ١٤: ٦٩٢ ـ ٦٩٥).

(٢) ضياء الدين علي بن محمّد العراقي: الفقيه والأُصولي الإمامي الشهير. ولد في آراك سنة ١٢٧٨ هـ، وقصد النجف، فتتلمذ على: السيّد محمّد الفشاركي، والميرزا حسين الخليلي، وشيخ الشريعة الأصفهاني، وغيرهم. امتاز بغزارة العلم وعمق الأفكار والعبقرية الوقّادة. من تلامذته: الشيخ محمّد رضا المظفّر، والسيّد محسن الحكيم، والسيّد الخوئي، والسيّد عبدالأعلى السبزواري، والميرزا هاشم الآملي. ألّف كتباً ورسائل، منها: شرح التبصرة، حاشية العروة، كتاب القضاء، رسالة في تعاقب الأيدي، المقالات الأُصولية. توفّي في النجف سنة ١٣٦١ هـ. (ريحانة الأدب ٥: ٩٠، أعيان الشيعة ٧: ٣٩٢ ـ ٣٩٣، معجم مؤلّفي الشيعة: ٢٨٥ ـ ٢٨٦).

مقامه في نيل المطالب وتحقيق الحقائق»[١].

ولم يستمر العمر به طويلاً حيث توفّي في سن الأربع والأربعين بعد عمر قضاه بالكدح والمثابرة.

من جملة الكتب والتأليفات التي دوّنها الشيخ محمود يمكن الإشارة إلى ما يلي:

١ ـ رسالة في العدل.

٢ ـ رسالة في الإرث.

٣ ـ رسالة في الطهارة

٤ ـ كتاب القضاء

٥ ـ كتاب أُصول الفقه، يقع في مجلّدين.

وقد خلّف الشيخ محمود ولدين:

١ ـ الأديب الشيخ أحمد مغنيّة.

٢ ـ الشيخ محمّد جواد مغنيّة[٢].

الولادة والنشأة

في عام ١٩٠٤م ولد المترجم لـه في قرية «طيردبا» من قضاء صور[٣]

---

(١) تكملة أمل الآمل: ٣٩٦، محمّد جواد مغنيّة (حياته ومنهجه في التفسير): ١٨.

(٢) گنجينه دانشمندان (كنز العلماء) ٣: ٢٧١.

(٣) صور: مدينة تقع على ساحل البحر الأبيض المتوسّط، وهي إحدى المدن الفينيقية القديمة التي اشتهرت بالتجارة، هاجمها الإسكندر عام ٣٣٢ ق.م، فأبدى أهلها مقاومة عنيدة. (المنجد في الأعلام: ٣٤٩).

لبنان، فاختار له أبوه اسم محمّد جواد[١].

يؤكّد علم النفس الحديث على أنّ أكثر النوابغ والمصلحين والمفكّرين الكبار والقادة السياسيّين تحمّلوا الكثير من المصاعب والمشاقّ في حياتهم. وكان محمّد جواد واحد من هؤلاء، حيث حرمته يد المنون حنان أُمّه العلوية[*] وهو دون سن الرابعة من عمره، فأضحى والده العالم العامل سنده وأمله في الحياة. وفي سن العاشرة فجعه الدهر للمرّة الثانية برحيل ذلك الوالد[٢].

في مواجهة التحدّيات

بعد وفاة زوجته هاجر والد محمّد جواد إلى النجف، فاصطحب معه ولده محمّد جواد، وكان في سن الرابعة من عمره. وفي النجف الأشرف تعلّم الخطّ والحساب واللغة الفارسية. لكنّه ـ بعد مدّة من الزمن ـ نسي الفارسية؛ لعدم استخدامه لها. وبعد أربع سنوات من الإقامة في النجف عاد والد محمّد جواد إلى

(١) تجارب محمّد جواد مغنيّة بقلمه: ٣٢.

(*) أُمّي من أُسرة هاشمية، من آل شرف الدين، ماتت وأنا في الثالثة أو الرابعة من عمري، ولا أتذكّر شيء من ملامحها وصفاتها، ولا من علاقتي بها، واهتمامها بي، سوى صور غامضة مبهمة... وإذاً فنظرية فرويد ـ لو صحّت ـ لا تنطبق عليّ، وهي: أنّ الإنسان مخلوق جنسي منذ طفولته، وأُمّه هي المعشوقة الأُولى لغريزته الجنسية، ويغار عليها من أبيه، ويتمنّى موته ليخلفه عليها من بعده! وحاول فرويد أن يفسّر تصرّفات الإنسان أو معظمها بالجنس، ولكن أبطل الكثيرون من أهل الأختصاص في علم النفس هذه النظرية بأنّ الطفل لايعرف الجنس، وأنّ الإنسان مسيّر بالعديد من الغرائز لا بغريزة الجنس فقط. (تجارب محمّد جواد مغنيّة بقلمه: ٣١).

(٢) تجارب محمّد جواد مغنيّة بقلمه: ٣١ و٣٣.

لبنان إثر دعوة وجّهت له من قبل أهالي منطقة «العبّاسية»[١].

وبالرغم من أنّ والد محمّد جواد يعد من علماء تلك الديار، إلّا أنّه كان من الناحية المادّية غير متمكّن. ولذا نجده ـ بعد أن شرع وبمساعدة أهالي منطقة «العبّاسية» ببناء بيت له ـ سرعان ما اضطرّ من أجل إكمال البناء أن يستقرض مبلغاً من المال من صائغ يدعى إسماعيل الصائغ، ويرهن بيته مقابل هذا القرض. وبهذه الطريقة استطاع أن يتمّ بناء البيت. إلّا أنّه وقبل أن يكمل عاماً من إقامته في بيته ويسدّد الديون التي عليه لبى والد محمّد جواد نداء ربّه، حيث توفّي عام ١٣٣٤ هـ. فما كان من المقرض إلّا أن تملّك البيت عوضاً عن قرضه، وما تبقّى من الأرض فقد تقاسمه الأخ الأكبر مع أعمامه، ودخل محمّد جواد وأخوه الأصغر أحمد تحت رعاية وكفالة الأخ الأكبر، وانتقلا إلى بيته في «طيرحرفا»[٢].

نعم، لقد كان لوفاة الأب والأُمّ والأحداث المؤلمة التي توالت بعد ذلك وقعاً كبيراً على قلب محمّد جواد بحيث عانى منه الكثير[*].

لم يحصل محمّد جواد من مال الدنيا سوى على فرشة ولحاف كان قد جاء بهما من بيت أبيه. إلّا أنّه ـ وعند انتقاله إلى بيت أخيه ـ فقد الفرشة، وبعد أن سافر

---

(١) الإسلام مع الحياة: ٢٧٩.

(٢) نفس المصدر: ٢٧٩.

(*) من نعم الله عليّ أنّي نشأت يتيم الأبوين... ولليتم أكثر من صورة، وكلّها عواصف وقواصف، ولكن آثاره ـ على الرغم من ذلك ـ أضداد متنافرة، فقد يؤدّي اليتم إلى التسوّل وارتكاب الجرائم، وقد يجعل الله فيه خيراً كثيراً، فيصنع اليتيم كيانه من آلامه، ويحقّق ذاته من أوصابه، تماماً كما تصنع الشعوب المغلوبة من أغلالها معولاً تحطّم به السدود والقيود، وهل الرجولة في واقعها إلّا أن يخلق الإنسان نفسه بنفسه؟ أبداً لا فرق بين أعمى يتوكّأ على عصاه، ويصير يعتمد على إنسان مثله! (تجارب محمّد جواد مغنيّة: ٣١).

أخوه إلى النجف وانتقلت زوجته إلى بيت أبيها فقد اللحاف أيضاً[١].

اضطرّ محمّد جواد وتحت ضغوط المشاكل والأزمات التي واجهها ولكي يسدّ جوعة بطنه، اضطرّ أن يتّجه إلى الأعمال الحرّة ليشتغل ببيع الحلويات.

في أغلب الأيّام كان طعامه لا يتعدّى حبّات من الحمص المقلي «القضامة» ومن الفستق يأكلها مع القشور، وقد يمضي اليوم واليومان والثلاثة فلا يجد شيئاً يأكله[٢].

وما أن تتبدّد أشعّة الشمس الذهبية ويهجم جنود ظلام الليل على أرض لبنان تضحى السماء بلونها الأزرق الفضفاض دثار محمّد جواد، ويعوده البرد القارس يلازمه ملازمة الصديق صديقه، وتصير الأرض أريكته التي ينام عليها. وما انفكّ هذا الصديق يعود محمّد جواد وذلك الدثار الجميل والأريكة تهدهده حتّى أورثاه مرض الروماتزم[٣] الذي لازمه ٢٧ عاماً[٤](*).

---

(١) الإسلام مع الحياة: ٢٧٩.

(٢) تجارب محمّد جواد مغنيّة بقلمه: ٣٤.

(٣) الروماتزم أو الرثية ليست مرضاً واحداً، بل تستعمل كلمة (رثية) بشكل عامّ لوصف أيّ مرض أو خلل يسبّب التهاب المفاصل أو العضلات أو أنسجة الجسم الضامّة وتورّمها المصحوب بالألم، ومن أسباب الروماتزم سوء عملية الأيض لبعض البروتينات أو إصابة الغضروف المفصلي جرّاء الهرم. (موسوعة أكسفور العربية ٦: ١٥).

(٤) راجع تجارب محمّد جواد مغنيّة بقلمه: ٣٥.

(*) كُتب عليّ أن أكون مسؤولاً عن نفسي قبل سنّ التكليف والبلوغ، فلم أدعها فريسة للأقدار، وحاولت وحدي أن أعمل للحصول على لقمة العيش. كان أكثر شباب القرية يذهبون إلى بيروت، يشتغلون حمّالين أو مستخدمين في محلّات تجارية، كغيرهم من أبناء قرى جبل عامل، ومازالوا يفعلون حتّى يومنا هذا. عزمت على الذهاب إلى العاصمة لعلّي أجد عملاً
←

← يقيم الأود، بعد أن ضقت ذرعاً بحياة البؤس والشقاء في قريتي المعدمة.. بعد يومين قضيتهما سيراً على قدميّ وصلت إلى بيروت عند الغروب، وأوّل شيء استوقف نظري، وأنا القروي، كان منظر (الترام)، فقد أُعجبت به ودهشت لمرآه. سرت في أسواق المدينة على غير هدى، فألتقي صدفة أحد أبناء قريتي واسمه (حسن) ورحّب هذا بي، فصحبني معه الى الغرفة التي ينام فيها العمّال، وكانت هذه الغرفة في إيجار امرأة عجوز من سكّان قريتي أيضاً.
وكان ينام فيها أكثر من عشرين عاملاً، يصطفّون كالسردين المعلّب، فكانت العجوز تنام مع ولدها في زاوية من الغرفة، وتنصب بينها وبين العمّال ستاراً من الحشيش أو شبهه، وتتقاضى من كلّ عامل في الشهر أجراً معيّناً.
سهرت تلك الليلة مع الكادحين، نمت معهم بدون غطاء ولا وطاء.
ونصحني بعضهم أن أبيع القصص والروايات؛ لأنّي أعجز عن الأشغال الشاقّة.
في صباح اليوم التالي ذهبت مع أحد الرفاق إلى بائع الكتب، وأخبرته بحالي وما أُشير عليّ، فأعطاني الكتبي حزمة من القصص: أبي زيد الهلالي، وعنترة بن شدّاد، وسير ذات العلم، والسبع حصون، وما إلى ذلك، وحدّد لكلّ قصّة ثمناً، حتّى إذا بعتها بأكثر أخذت الزائد ودفعت له السعر المعيّن.
حملت تلك القصص، ورحت أذرع الأسواق من ساحة البرج، إلى باب إدريس، إلى سوق الطويلة والميناء، صائحاً منادياً على بضاعتي، أعرض على هذا وذاك، ولا أجد راغباً واحداً، وأذا سامها أحد دفع ربع أو نصف الثمن الذي حدّده ليَّ الكتبي، وهكذا أمضيت النهار على غير جدوى، فأرجعت القصص إلى صاحبها كما هي، وأستدنت خمسة قروش ثمن العشاء، وفي المساء رجعت إلى غرفة العمّال، وسألني أحدهم عمّا اكتسبت، فأخبرته بما كان، فقال لي آخر: جرّب حظّك ببيع (الكازوز) والمرطّبات، عملت بنصيحته، وجرّبت حظّي في اليوم الثاني، فلم يكن بأسعد منه في اليوم الأوّل.
وفي اليوم الثالث أخذت أذرع الأسواق هائماً على وجهي، لا أدري ماذا أصنع، يائساً من نفسي ومن أهلي ومن وطني.
وفي اليوم الرابع مررت صدفة بولدٍ في سنّي يبيع الكعك، تقدّمت وسألته: كم تربح في اليوم؟
قال: مصروفي.

←

← قلت: أتحصل على ثمن الغداء والعشاء؟

أجاب: أغلب الأيّام، وإذا رجعت آكل من هذا الكعك.

قلت: أرشدني إلى الفرن.

صحبني الصبي إلى الفرّان الذي أخبرته برغبتي في العمل عنده، فرحّب بي، وقال: تعال صباح الغد، انتظرت الصباح بفارغ البصر، وفي الصباح الباكر أسرعت إلى الفُرن حيث ينتظرني عملي الجديد، وتسلّمت من صاحب الفُرن كمّية من الكعك، ورحت أتجوّل بها هنا وهناك، وكان يوماً سعيداً حقّاً؛ لأنّي تغدّيت كعكاً، وربحت ثمن العشاء، ولكن لم أستطع الاستمرار في هذه المهنة؛ لأنّي اكتشفت أنّ صاحب الفرن يستغلّني، وهو يبيعني العشرين كمكة بـ(١٥) قرشاً، مع أنّها لا تكلّفه أكثر من خمسة قروش.

تعلّمت صنع الحلوى (المشبّك، والعوّامة، والنمّورة) من بائع حلوى يقيم معنا في الغرفة، فتركت للتوّ بيع الكعك، وشرعت أصنع الحلوى بنفسي، وأبيعها مستقلّاً استقلالاً تامّاً.

وكانت هذه المهنة نهاية المطاف بالنسبة لعملي في بيروت، التي بقيت أكدح فيها أربع سنين أو أكثر.

ولقد عيّرني بمهنتي كبائع حلوى بعد أن أصبحت عالماً معروفاً ورئيساً للمحاكم الجعفرية في لبنان، عيّرني البعض من المعمّمين ومن أبناء العلماء، ونشروا يهاجموني في أكثر من صحيفة، يصفوني ببائع الحلوى! تهجّموا عليّ؛ لأنّي كدحت من أجل لقمة العيش الشريف، وكافحت لكسب الحلال، ولأنّ وضع العمل الذي مارسته لا يناسب وضع آل مغنيّة المرموق، ومكانتهم الاجتماعية العريقة، فتناسوا أنّ أولياء الله وعباده الصالحين كانوا من الكادحين، وأنّ علياً عليه السلام كان يضرب الأرض ليُخرج منها الماء، ويحمل أكياس الرمل على ظهره، ويتقاضى أُجرته من الزُرّاع الذين عمل عندهم؛ ولأنّ الواجب في منطقهم كان يقضي عليّ أن أُولد قبل أن يموت أبويّ بثلاثين سنة على الأقلّ، حتّى لا أُعاني شدائد اليُتم بلا كفيل ومصاعب الطفولة المشرّدة!

أمّا الذين تجنّوا عليّ وهاجموني، فلهم فضل السبق إلى اختيار وقت ولادتهم، وبقائهم في حجور آبائهم وأُمّهاتهم، حتّى بلغوا سنّ الأربعين أو يزيد..

والجدير بالذكر: أنّ أحد هؤلاء انتهى مجنوناً في مستشفى الأمراض العقلية، وآخر يعيش على ←

← الصدقات، أمّا أخيرهم فقد طواه الزمن ولم يعد شيئاً مذكوراً! أشهد أمام ربّي عزّ وجلّ أنّي آسف لحالهم من أعماق قلبي، سامحهم الله، وغفر لنا ولهم جميعاً. (تجارب محمّد جواد مغنيّة: ٣٦).

الفصل الثاني:

النشأة العلميّة



رحلته إلى النجف الأشرف

لم تثن المشاقّ والصعوبات التي واجهها محمّد جواد عزمه الراسخ وإرادته الفولاذية، فبدأ مشواره في تحصيل العلم بلبنان، حيث درس كتاب «الآجرومية»[1]، وشطراً من كتاب «قطر الندى»[2]، ثمّ عزم على الرحيل إلى النجف الأشرف؛ ليستأنف مشواره في طلب العلم في جوار قبّة أمير المؤمنين ومولى المتّقين علي بن أبي طالب عليه السلام.

وطبيعي أنّ ثمّة عقبات ومشاكل كانت تحول دون هذا العزم:

أوّلاً: كيف يؤمّن نفقة السفر؟

ثانياً: الضرائب والديون المترتّبة على أراضي أبيه والتي يطالب بدفعها هو تحول دون أن يسافر بصورة رسمية.

إلّا أنّ محمّد جواد بما أُوتي من إرادة صلبة إلى جانب الدعاء والتوسّل بأهل البيت استطاع أن يذلّل المشاكل كلّها[*]، حيث التقى بسائق سيارة قبل أن

---

(١) هذا الكتاب النحوي من تأليف ابن آجروم المتوفّى سنة ٧٢٣هـ.

(٢) كتاب يعنى بعلم النحو، ألّفه أبو محمّد جمال الدين عبدالله بن يوسف بن أحمد الأنصاري المشتهر بابن هشام المتوفّى سنة ٧٦١هـ.

(*) أقف بالقلم عن حياتي كيتيم كادح عند هذا الحد. وإن كان لديَّ الكثير ممّا أُحدّث به القارئ، ولكنّي أمسك عن الكلام؛ خوفاً أن لا يثق أحد بما كان ويكون.

كُنت على الرغم من صغر سنّي أعرف أنّ في هذه الحياة خيراً وشرّاً، وأنّ فيها ما يسوغ

←

← وما لا يسوغ، وأنّ في الناس عالماً وجاهلاً، وأنّ قياس العالم بالجاهل كقياس الناطق بالصامت، كذا كنت دائم التفكير بطلب العلم كما فعل آبائي وأجدادي متمنّياً لو يتيسّر إلى ذلك سبيلاً.

وكثيراً ما فكّرت بالذهاب إلى النجف سيراً على قدميّ، وكنت آمل.. والأمل فطرة الله في عباده، حتّى لو تحطّمت سفينة الإنسان في بحر يغشاه اليأس والألم.

أخيراً أذن الله سبحانه ويسّر ليّ أُجرة الطريق، فباشرت بتهيئة جواز السفر، فتنقّلت بالأوراق الرسمية في دوائر البيروقراطية، حتّى وصلت إلى أمين الصندوق، وقدّمتها إليه ليؤشّر عليها، فرفض الموظّف المذكور التأشير على الجواز حتّى أدفع له جميع الضرائب المكدّسة على الأرض التي تركها والديّ، وليس في يدي هذه الأرض، ولا أملك منها إلّا القليل القليل، ولو بعت ما بقي عندي ذلك الزمان لما استطعت أن أفي بثمنها عشر المطلوب من الضرائب المتوجّب دفعها.

مزّقت أوراق الجواز، وعزمت على السفر بدونه، مهما كانت العواقب، سأُغامر وأُخاطر، ولن أدع أيّ شيء يقف في طريقي.

ذهبتُ إلى إحدى الشركات؛ لكي أستأجر سيارة من بيروت إلى بغداد، وسألني صاحب الشركة: هل أتممت معاملة الباص؟ أجبته: كلّ شيء جاهز بإذن الله.

وفي اليوم التالي تحرّكت السيّارة على طريق طرابلس، فحمص؛ لأنّ طريق (دمشق) كانت مقفلة بسبب الثورة الوطنية ضدّ المستعمرين الفرنسيّين، وعندما وصلت السيّارة إلى حمص جاء شرطي ليأخذ الجوازات من الركّاب... ولمّا جاء دوري سألني: أين باصك؟ ناولته ريالاً في يديه وقلت: هذا باصي!

أخذ الشرطي الريال ووضعه في جيبه ومضى، فحمدت الله على السلامة.

كان سائق السيّارة رجلاً طيّباً، وهو من الأرمن الذين شُرِّدوا من تركيا، فلجأ إلى لبنان، وقد شعر بما جرى بيني وبين الشرطي، فأخبرني بأنّه سوف تطلب الجوازات من الركّاب في تدمر، وسألني: عندها ماذا ستفعل؟ أخبرته بقضيتي، ورغبت إليه أن يساعدني على الخروج من هذا المأزق، فقال لي: لا تخف، ستدخل معي بغداد مهما اقتضت الحال.

ولمّا وصلت السيّارة إلى أوّل تدمر أوقفها السائق، قال لي: انزل يا جواد، وسر متّجهاً نحو ←

يدخله العراق من دون جواز سفر، وكان هذا السائق من الأرمن الذين هاجروا من لواء الإسكندرونة[١] إلى لبنان، ذكره مغنيّة فيما بعد في كتابه «تجارب محمّد جواد مغنيّة» قائلاً:

«وقد مضى على ذلك ستّين سنة، ولكنّي مازلت أذكر وأشكر هذا السائق على جميله، ولن أنساه ما حييت؛ لأنّه أوّل إنسان جعلني أشعر أنّ في هذه الحياة

← الشرق مسامتاً لجدران البلدة، حتّى إذا تجاوزتها وجدتني بانتظارك على الطريق خارج المدينة.

سرت متسلّلاً متوارياً خلف المنازل والجدران، وبينما أنا أسير اعترضتني قلعة تدمر الشهيرة، فدهشت لمرآها، ورحت أتأمّل عظمتها، وأنتقل من جناح إلى جناح متعقّباً، لا أكاد أصدّق عيني متخيّلاً أنّي في حلم، ذهلت عن كلّ شيء حتّى عن نفسي، وقد رأيت عيناً نابعة في وسط القلعة، فتذكّرت الصلاة، وكان الوقت عصراً، فتوضّأت من تلك العين، وما أن شرعت في الصلاة حتّى رأيت طفلين يركضان نحوي ويصيحان، وعندما وصلا إليّ قالا: السائق ينتظرك، وقد أرسلنا إليك فعجّل، خفّفت الصلاة والخطى، ووجدت السائق والركّاب ينتظرون وينظرون إلى الطريق، اعتذرت لهم وتابعنا السير.

هكذا تعاون السائق معي، وكتم أمري الركّاب، وبذل كلّ جهده حتّى أجتزت الحدود العراقية، كما أجتزت الحدود السورية بلا جواز، وكم يؤلم وجود الحدود المصطنعة بين أبناء العرب!

حتى أنّ العربي في يومنا هذا بحاجة إلى جواز سفر، وسمات دخول، لينتقل في وطنه العربي الكبير.

وأعود إلى السائق الأرمني، وأقول: إنّه لولاه لربّما عدت حيث كنت واستحال عليّ أن أحقّق شيئاً من أمنيتي. (تجارب محمّد جواد مغنيّة بقلمه: ٣٩ ـ ٤٢).

(١) لواء الإسكندرونة: لواء سابق في الجزء الشمالي من الساحل السوري، مركزه مدينة الإسكندرونة، سلخته تركيا عام ١٩٣٩ م، وضمّته إلى أراضيها، وأطلقت عليه اسم «هاتاي». (موسوعة المورد ٥: ٢٠٩).

إنساناً يساعد أخاه الإنسان، ويسدي إليه المعروف لوجه الخير والمعروف»(١).

بعد دخوله العراق وزيارته مراقد الأئمّة المعصومين استقرّ الشيخ في النجف، واشتغل بتحصيل العلوم الدينية في حوزة النجف العريقة بتراثها الديني والعلمي. فاشتغل بدراسة الصرف والنحو والمنطق وغيرها من الدروس، وأتمّ دراسة كتاب «قطر الندى» على يد أخيه، كما أعاد دراسة كتاب «الآجرومية» للمرّة الثانية على يد السيّد محمّد سعيد فضل الله. وفي هذا المضمار أفاد كثيراً من علماء جبل عامل المقيمين في النجف(*).

وبعد إكماله المقدّمات حضر عند كلّ من المراجع العظام: السيّد حسين

(١) الإسلام مع الحياة: ٢٨٤.

(*) جئت إلى النجف، وكانت آنذاك بلد المرض والفقر، الوجوه شاحبة والثياب بالية والبيوت واطئة تدبّ فيها العقارب، وتسعى الحشرات في جوانبها، الشوارع ضيّقة قذرة، والمتسوّلون على كلّ باب وفي كلّ طريق، وماء الشرب ينقل بالقرب على الحمير من مكان بعيد، ويباع كالخبز والزيت، ومعظم موارد النجف من الأوقاف والصدقات والأخماس تأتي من الخارج ومن الزوّار والجنائز التي ترد إلى وادي السلام من أقطار شتّى.

والطالب الغريب السعيد من كان له ولي وكفيل يتعهّده من حين لآخر بحوالة مالية، فإذا وصلت إليه انتشر خبرها بين الطلّاب، وقدّم له التهاني الخلّان والأحباب!

وكان بعضهم يجثو على ركبتيه في رسائله لتاجر أو مهاجر، يستعطفه ويسأله العون بلسان مرتجف وحزين، ومعظم العلماء والطلّاب أو الكثير منهم يعيشون في عفّة واغتراب، لا عمّ لهم ولا خال، لينهكهم العوز والحرمان، ومع هذا مضوا على الطريق بصبر وجاهدوا في سبيل العلم وبلغوا الهدف، وحوّلوا الجوع والبرد إلى علم وخلق وطهارة، والترف أفيون يخدّر أهله ويصرفهم عنه كلّ حافز إلى الجهاد والطموح.

كنت واحداً من الفئة اليائسة المحرومة، ولكن كان لي هدف واحد، وهو أن أفهم وأستوعب الدرس الذي أنا فيه، إنّه منتهى أملي وشغلي الشاغل، في سبيل تحصيله يهون كلّ شيء، وأتخلّى عن كلّ شيء! (تجارب محمّد جواد مغنيّة بقلمه: ٤٧ ـ ٤٨).

الحمّامي(١)، والسيّد الخوئي(٢)، وآية الله محمّد حسين الكربلائي(٣).

وفاة أخيه

بقي محمّد جواد مدّة أحد عشر عاماً مكبّاً على طلب العلم ومتحمّلاً جميع المشاقّ والصعوبات التي كان عموم طلّاب العلم يواجهونها آنذاك، حتّى تناهى إليه خبر وفاة أخيه الأكبر، والذي كان يؤدّي مهمّة الدعوة والإرشاد في قرية

(١) حسين بن علي بن هاشم بن محمّد الموسوي الحمّامي الفقيه الإمامي القدير. ولد في النجف عام ١٢٩٨ هـ، وحضر الأبحاث العالية على: الآخوند الخراساني، وشيخ الشريعة الأصفهاني، والسيّد اليزدي، والشيخ علي بن باقر الجواهري. ودرس الحكمة والكلام على: الميرزا محمّد الطهراني، وعلي النوري، وعلي أصغر الهزارجريبي. شارك في الجهاد ضدّ القوّات البريطانية في محور القرنة بالبصرة عام ١٩١٤ م. برع في علمي الفقه والأُصول، وأصبح من مراجع التقليد، وحضر عنده كثير من الأعلام. صنّف كتباً، منها: حاشية وسيلة النجاة، حاشية المكاسب، سؤال وجواب في الفقه، المسائل النجفية. توفّي عام ١٣٧٩ هـ ببغداد، ودفن في النجف. (أعيان الشيعة ٦: ١٣١ ـ ١٣٢، معجم رجال الفكر والأدب ١: ٤٥٠ ـ ٤٥١، موسوعة طبقات الفقهاء ١٤: ٢٢٣ ـ ٢٢٥).

(٢) أبو القاسم بن علي أكبر بن مير هاشم الموسوي الخوئي النجفي: أحد مراجع العصر المشهورين بالعلم والفقاهة. ولد في مدينة خوي سنة ١٣١٧ هـ، وهاجر إلى النجف عام ١٣٣٠ هـ لتحصيل العلوم، وحضر على: شيخ الشريعة الأصفهاني، والشيخ النائيني، والشيخ ضياء الدين العراقي، والشيخ محمّد حسين الأصفهاني، وكتب تقريراتهم، وحضر عنده جملة من الأعلام، واستمرّ بالتدريس والتأليف مدّة طويلة من الزمن، حتّى وافاه الأجل في النجف الأشرف سنة ١٤١٣ هـ. له مؤلّفات، منها: البيان في تفسير القرآن، أجود التقريرات، تعليقة على العروة الوثقى، رسالة في الغروب، معجم رجال الحديث، نفحات الإعجاز، مستحدثات المسائل. (الذريعة ١: ٢٧٨ و٢٤: ٢٤٦، معارف الرجال ١: ٢٨٥، مع علماء النجف الأشرف ٢: ٥١٨ ـ ٥٢٠).

(٣) تجارب محمّد جواد مغنيّة بقلمه: ٤٥.

«معركة»، فاضطرّ إلى أن يغادر النجف باتّجاه وطنه لبنان.

بعد الفراغ من مراسيم التشييع والدفن، طلب أهالي المنطقة من الشيخ محمّد جواد أن يحلّ محلّ أخيه ويتقبّل مسؤولية إمامة الجماعة في تلك المنطقة. ولم يجد بدأً من الاستجابة لطلبهم، فراح يدرّس القرآن والدروس الدينية، ويلقي عليهم المواعظ والإرشادات إلى جانب إقامته لصلاة الجماعة.

إلّا أنّ هذه الدروس المفيدة لم تدم طويلاً، وذلك لأنّ الذين كانوا قد تعهّدوا بدفع تكاليف المشروع هذا نكثوا تعهّداتهم. وهذا ناشئ بالأساس من أنّ الناس في تلك المنطقة لا يقدّرون قيمة العلم والمعرفة.

الثقافة العامّة المتردّية

للأسف أنّ المجتمع الذي يحيط بالشيخ محمّد جواد لم يكن على مستوى من الوعي بحيث يدرك قيمة ومكانة هذا العالم الربّاني، ففي يوم من الأيّام كان الشيخ محمّد جواد جالساً ويتصفّح الصحف القديمة والمتهرئة، وقد غرق في ذكريات الماضي حيث أيّام الدراسة وتحصيل العلم، فسأل أحد الجالسين صديقه: «لماذا يحرص الشيخ على قراءة كلّ هذه الصحف والجرائد»؟ فما كان من صاحبه إلّا أن أجاب على مسمع من الشيخ: «يقرأها حتّى يتعلّم الحكي!»(*).

(*) في النجف وقم علماء موهوبون يبذلون جهوداً مضنية لا تقلّ عن جهود المكتشفين والمخترعين من علماء الطبيعة، ولكن مازالت عقلية أفلاطون وأرسطو والملّا صدرا تسيطر على مدرسة النجف وقم، وتقول هذه العقلية: إنّ العلم يطلب كغاية؛ لأنّه شرف وفضيلة بذاته، وأنّه في واقعه وحقيقته تأمّل عقلي خالص وتفلسف نظري بحت، وأنّ المحقّق والمدقّق من ←

→ يتقن الحوار والجدال، ويفهم من يعارض رأيه بالأقيسة المنطقية والإلزامات العقلية. أمّا التطبيق العملي وخدمة الحياة وحلّ مشاكلها فيأتي على الهامش، بل لا وجود له.
احتقر أفلاطون وأرسطو ومن على فلسفتهما العمل ونفروا منه؛ لأنّه على أنواعه عار يختصّ بالعبيد، والشريف من يحيا حياة الفراغ والبطالة... وإذن فلم يبق للعلم الأعلى أيّة ثمرة إلّا مجرّد النظر والتفكير والتعمّق في التحليل، وأيّة محاولة لاختيار صحّة الفكرة في عالم التطبيق والعمل فإنّها تهوي بالعلم إلى الأسفل.
ومن جملة ما قرأت: أنّ المخترع في العصور القديمة كان يخفي مخترعاته حرصاً على أن يذكره الناس بأنّه عالم نظري لا عملي؛ لأن العمل عيب من شؤون الأرقّاء... وأيضاً قرأت: أنّ أفلاطون غضب غضباً شديداً على عالم رياضي؛ لأنّه طبّق ميكانيكياً مسألة هندسية نظرية، وقال له: شوّهت جلال العلم، وهبطت بالعقل إلى العمل الذليل!
وهذا يفسّر لنا انتشار الكسل والبطالة بين أبناء العلماء والأغوات.
وقد أدركت ذلك وشاهدته.. وقيل لأحدهم ـ وهو من جبل عامل ـ: لماذا لا تعلّم أولادك؟ قال: نحن نورّث المجد ولا نورّث العلم! والمجد في مفهومه أنّه يأنف من عمل نفسه، ويأكل من عمل غيره!
والآن قد ذهب عصر التجريد والترفّع عن العمل، وجاء عصر المصانع والمعامل، وأصبح العمل شعار الشرفاء، بعد أن كان عنواناً للأرقّاء، وصارت كلمة الكادحين اسماً للأحرار الذين يصنعون التقدّم والحضارة، وآمن العلماء والفلاسفة في هذا العصر بأنّ أيّة فكرة لا تخدم الإنسان وترفع من حياته وتحلّ مشكلة من مشكلاته فهي مجرّد وهم وخيال.. وما دام كذلك فلماذا تصر النجف وقم على إبقاء ما كان في عصر الرقيق؟!
وبالمناسبة أُشير إلى أنّ أحد مراجع النجف في عهدي ألّف كتاباً في الفقه، فانبرى له أكثر من واحد يجادله، ويبرهن على صحّة الرأي المضاد له، لا لشيء إلّا ليثبت أنّه هو أيضاً من الراسخين في التحليل النظري الدقيق العميق! يا سبحان الله!
ولا يخفى أنّ المدارس والمعاهد تهتمّ بتلاميذها وتوجّههم للحصول على عمل وحياة أنقى وأكمل وأفضل بعد تخرّجه ونجاحه، وتستخدم لذلك شتّى الأساليب تماماً برسوخه في المادّة التي يدرسها.. ولا أثر لهذا التوجيه في النجف وقم، بل على العكس أنّ بعض الأساتذة
←

لم يكن المستوى المتدنّي للوعي لدى الناس هو المصدر الوحيد لمعاناة الشيخ مغنيّة، بل المأساة الأكبر هي أنّ المصدر المالي الذي يرتزق منه الشيخ أُسوة بباقي علماء الشيعة يتقوّم بمساعدات وهدايا الناس. وعليه كان شيخنا يعاني من أزمة مالية خانقة، ولم يكن أحد يبالي بذلك، وتصل هذه المعاناة إلى أوجها عندما قرّر الناس أن يجمعوا له النقود والمواد الغذائية على نفس الطريقة التي يجمعون بها المعونات والصدقات للفقراء والمعوزين! فراح أحدهم يتجوّل في القرية حاملاً كيساً على ظهره، وأخذ يجمع للشيخ الطحين والذرّة وغير ذلك من المعونات، ثمّ انقلب إلى بيت الشيخ فرحاً لما جمعه من المعونات. وما أن سمع الشيخ محمّد جواد بالقصّة حتّى اعتذر عن قبول هديتهم وردّها إليهم.

لقد ترك هذا الحدث المؤسف أثراً بالغاً في نفسية الشيخ محمّد جواد، حتّى

← يفسد عقل التلميذ بأساطير ما أنزل الله بها من سلطان، ويصرفه من غير قصد عن الحياة ومشكلاتها.

ورأيت طالباً وأنا في قم يبرّر حرب الولايات المتّحدة في فيتنام، بل ويتحمّس لها ضدّ الشعب الفيتنامي! وأنا لا أعرف دخيلة هذا الطالب، وأنّه منزّه عن الغرض بلا ريب.. وأظنّ أنّ الذي غرّر به هو سذاجة أُستاذه وإيمانه بأنّ الشعب في فيتنام لا يؤمن بالله،فتجب إبادته، جاهلاً بأنّ الظلم إثم كبير بشتّى أنواعه.

وفي كتاب الكافي عن المعصوم: «إنّ الله لا يدع ظلامة المظلومين وإن كانوا كفّاراً»، «من أصبح لا يهمّ بظلم أحد غفر الله له ما اجترم».

ومعنى هذا: أنّ كراهية الظلم والكفّ عنه حسنة لا تضرّ معها سيّئة إلّا الشرك؛ للنصّ القاطع: «يا أبا ذرّ، كف أذاك عن الناس، فإنّه صدقة تتصدّق بها على نفسك»، أي: أنّ مجرّد كفّ الأذى مع القدرة عليه فضيلة يثاب عليها المرء ويمدح. (تجارب محمّد جواد مغنيّة بقلمه: ٦٢ و ٦٤).

قرّر على أثره أن يغادر هذه المنطقة ويختار لـه سكناً في بلدة أُخرى[١].

فهاجر إلى قرية «طير حرفا» في عام ١٣٥٨ هـ.ق بعد مدّة قضاها في قرية «معركة» استمرّت قرابة ثلاث سنوات. وهناك اشتغل بالزراعة من أجل تحسين وضعه الاقتصادي، وإلى جانب اشتغاله بالزراعة راح الشيخ يستأنف مشواره في طلب العلم والتحقيق وقراءة الكتب. فكان يقصد منطقة تدعى «وادي السروة» في جنوبي طيرحرفا، وهو وادٍ سحيق يضيق وينفرج ويتعرّج، كثير الصخور، كثيف الأشجار، وهناك كانت تقوم صخرة ترتفع عن قعر الوادي إلى مائة متر، يعلوها سقف من أغصان الأشجار النضرة، ولا يشقّ هدوءها الرائع سوى زقزقة العصافير وهديل الحمائم.

لقد وجد مغنيّة في هذا المكان أفضل مكان للقراءة والتحقيق، ولذا أسماه ـ أي: المكان ـ «غرفة القراءة»، فكان يصطحب معه قلمه وأوراقه وبعض الكتب وإبريق الشاي، يقرأ ويفكّر ويكتب.

في هذا المقطع من عمره قرأ مغنيّة لنيتشه[٢]، وشوبنهاور[٣]،

---

(١) راجع الإسلام مع الحياة: ٢٩٧ وما بعدها.

(٢) فريدريتش ولهلم نيتشه: فيلسوف ألماني. ولد عام ١٨٤٤ م. وأنكر البعث والحساب، ودعا إلى اطّراح العبادة منادياً بضرورة انصراف الإنسان إلى الارتفاع بذاته حتّى يبلغ مرتبة الإنسان الأسمى أو «السوبرمان». تأثّرت النازية بآرائه تأثّراً كبيراً. أُصيب بانهيار عصبي عام ١٨٨٩ م، فقضى بقيّة حياته في مستشفى للأمراض العقليّة، حتّى توفّي عام ١٩٠٠ م. أشهر آثاره: هكذا تكلّم زرادشت، الفلسفة في عصر المأساة عند اليونان، الفجر. (موسوعة المورد ٧: ١٣٠، موسوعة الفلسفة ٢: ٥٠٨ ـ ٥١٧).

(٣) آرثر شوبنهاور: فيلسوف ألماني متشائم. ولد عام ١٧٨٨ م، وقال: بأنّ إرادة الإنسان اللاعقليّة العمياء ـ وليس العقل ـ هي التي تقرّر معظم ما نفعله خلال حياتنا، وبأنّ مطالب ←

وتولستوي(١)، والعقّاد(٢)، وطه حسين(٣)،

← هذه الإرادة لا تُشبَع، ومن هنا كان مقدّراً على الفرد أن يحيا في قلق وألم وصراع مدمّر مع إرادات الآخرين؛ وبأنّه لا سبيل إلى الخلاص من هذا الوضع إلّا بإنكار الذات. توفّي عام ١٨٦٠ م تاركاً جملة من المؤلّفات، منها: العالم كإرادة وفكرة، الحواشي والبواقي، ميتافيزيقا الحبّ الجنسي، حول النساء. (موسوعة المورد ٨: ٢٢٤، موسوعة الفلسفة ٢: ٣١ ـ ٣٧).

(١) الكونت ليو تولستوي: روائي وفيلسوف أخلاقي ومصلح اجتماعي روسي شهير. ولد سنة ١٨٢٨ م، وحاول إصلاح المجتمع عن طريق نشر العدل والمحبّة وعدم العنف، وانتقد المساوئ، وصوّر العادات الروسيّة، ورفض في أواخر حياته مؤسّسات المجتمع بما فيها الملكية الشخصية والدولة نفسها. تميّزت آثاره بعمق تحليله للإنسان ككائن اجتماعي. من أبرز روائعه: الحرب والسلم، آنّا كارنينا، اعتراف، البعث. توفّي سنة ١٩١٠ م. (دائرة معارف القرن العشرين ٤: ٧٠٣ ـ ٧٠٩، موسوعة الشعراء والأدباء الأجانب: ١٦٨ ـ ١٦٩، موسوعة المورد ١٠: ٧).

(٢) عبّاس محمود إبراهيم العقّاد: عملاق من عمالقة الأدب العربي في العصر الحديث. ولد في أسوان سنة ١٨٨٩ م، والتحق بالمدرسة الثانوية في القاهرة، وتنقّل في عدّة وظائف حكومية بسيطة الحال، وأجاد الإنجليزية، ثمّ ألمّ بالألمانية والفرنسية، وطالع الروائع العالمية، ونبغ في النقد، وسما في الشعر، وصار يشار إليه بالبنان، وأصبح عضواً ببعض المجامع اللغوية العربية وفي مجلس الشيوخ ومجلس الفنون والآداب. من مؤلّفاته: مجمع الأحياء، ابن الرومي، هتلر في الميزان، عالم السدود والقيود، أبو الشهداء الحسين بن علي، الإسلام والاستعمار، فلسفة الغزالي. توفّي في القاهرة سنة ١٩٦٤ م، ودفن في أسوان. (أعلام الأدب المعاصر في مصر ١: ٣ ـ ٢٧٦ و٢: ٥٧٧ ـ ١٠٨٩، الأعلام للزركلي ٣: ٢٦٦، الجامع في تاريخ الأدب العربي الحديث: ٢٩٠ ـ ٣٠٤).

(٣) طه حسين: عميد الأدب العربي. ولد في مصر العليا سنة ١٨٨٩ م، وفقد بصره وهو طفل، ودرس في الأزهر، ثمّ في الجامعة المصرية، ثمّ في السوربون بباريس، ونال أعلى الدرجات العلمية. وفي سنة ١٩٢٥م عيّن أستاذاً في الجامعة المصرية، ثمّ انتدب عميداً لها، ثمّ مديراً لجامعة الإسكندرية. وفي سنة ١٩٥٠ م أصبح وزيراً للتعليم. كان ذا ذكاء متوقّد وعناد ونهج جديد وعاطفة لا حدّ لها. له تراث أدبي وفكري ضخم نذكر منه: الأيّام، في الأدب الجاهلي، ←

وتوفيق الحكيم[١]. وإلى جانب مطالعاته شرع في الكتابة والتأليف. فكتب خلال ارتياده هذا المكان عدّة كتب هي: «الكميت، دعبل، الوضع الحاضر في جبل عامل، والتضحية».

قضى محمّد جواد مغنيّة حوالي ١٠ سنوات من عمره في تلك المنطقة، حتّى رحل عنها إلى بيروت عام ١٣٦٧ هـ[٢].

أساتذته

١ ـ الشيخ عبد الكريم مغنيّة.

ولد في عام ١٣١١ هـ، وتتلمذ على يد كبار علماء عصره، حتّى نال مرتبة الاجتهاد، وتوفّي عام ١٣٥٤ هـ تاركاً عدّة تأليفات، منها: كتاب القضاء، وكتاب الإرث[٣]. وهو أخو الشيخ مغنيّة.

٢ ـ السيّد محمّد سعيد فضل الله.

ولد في عام ١٣١٦ هـ، وهو يعدّ من تلامذة الميرزا فتّاح الشهيدي

← مع أبي العلاء في سجنه، مستقبل الثقافة في مصر. توفّي سنة ١٩٧٢ م. (الأعلام للزركلي ٣: ٢٣١ ـ ٢٣٢، الجامع في تاريخ الأدب العربي الحديث: ٣٣٥ ـ ٣٦٥).

(١) توفيق الحكيم: روائي وكاتب مسرحي مصري، يعتبر أحد أبرز الروائيّين والكتّاب المسرحيّين العرب في النصف الأوّل من القرن العشرين. ولد عام ١٨٩٨م لأب مصري وأمّ تركية، ونال إجازة الحقوق من القاهرة. استمدّ موضوعاته من الواقع المصري ومن التاريخ وبعض الأساطير، وكتب بعض آثاره باللهجة المصرية. أشهر أعماله الروائية: عودة الروح، يوميات نائب في الأرياف، عصفور من الشرق. وأهمّ أعماله المسرحية: شهرزاد، أهل الكهف. توفّي سنة ١٩٨٧ م. (موسوعة المورد ٥: ٥٩، شخصيات لها تاريخ: ٩٨ ـ ٩٩).

(٢) انظر تجارب محمّد جواد مغنيّة بقلمه: ٩٣ وما بعدها.

(٣) أعيان الشيعة ٨: ٣٩.

التبريزي[1]، حيث قرأ على يديه كتاب «الرسائل»، كما حضر لسنين طويلة دروس العلمين: المحقّق الميرزا محمّد حسين النائيني، والمحقّق الشيخ ضياء الدين العراقي.

كان يكنّ حبّاً وافراً لمحمّد جواد، ولذا كان عندما يلقي عليه الدرس لا ينتقل إلى درس جديد إلّا بعد أن يطمأن بالكامل من أنّ محمّد جواد قد هضم الدرس جيّداً.

٣ ـ السيّد أبو القاسم الموسوي الخوئي.

درس مغنيّة المجلّد الثاني من «كفاية الأُصول»[2] وشطراً من «المكاسب»[3] على يديه.

٤ ـ الشيخ محمّد حسين الكربلائي.

في سبيل أن يتقن المجلّد الثاني من كتاب «كفاية الأُصول» أعاد محمّد جواد قراءته على يد هذا العلم الكبير.

٥ ـ السيّد حسين بن علي بن هاشم الحمّامي المعروف بالسيّد حسين الحمّامي.

---

(١) فتّاح بن محمّد علي بن نور الله التبريزي الشهيدي: كان فقيهاً إمامياً مجتهداً أُصولياً. ولد في تبريز عام ١٢٩٥ هـ، وطوى المراحل الدراسية عند أكابر علماء ذلك العصر في النجف، حتّى استقلّ بالتدريس، وبعثه السيّد أبو الحسن الأصفهاني إلى تبريز سنة ١٣٦١ هـ، فعكف فيها على التدريس والإفتاء، حتّى ظفر بشهرة واسعة ومكانة مرموقة ونال الرئاسة الدينية هناك حتّى وفاته عام ١٣٧٢ هـ. من مصنّفاته: هداية الطالب إلى أسرار المكاسب، جامع الدلالات في القضاء والشهادات، مرآة الفضيلة في الحواشي على الوسيلة، مرآة العقول في شرح كفاية الأُصول. (الذريعة ٣: ٤٨٣ و٥: ٥٣ و٢٥: ١٧٩ ـ ١٨٠، معجم رجال الفكر والأدب ٢: ٧٦٥، الأعلام للزركلي ٥: ١٣٣).

(٢) هذا الكتاب الأُصولي من تأليف الآخوند الخراساني المتوفّى سنة ١٣٢٩ هـ.

(٣) هذا الكتاب الفقهي من تأليف الشيخ مرتضى الأنصاري المتوفّى سنة ١٢٨١ هـ.

ولد عام ١٢٩٨ هـ في النجف الأشرف. كان جدّه سيّد هاشم يمتهن مهنة الحمّامي، ولذا عرف أبناؤه بهذا اللقب أيضاً. يعدّ السيّد حسين الحمّامي من تلامذة المرحوم الآخوند الخراساني[١]، والسيّد محمّد كاظم اليزدي[٢]، وشيخ الشريعة الأصفهاني[٣].

بلغ شأواً كبيراً في الفقه والأُصول لدرجة أنّه لمّا توفّي السيّد أبو الحسن الأصفهاني[٤]، فإنّ عدداً كبيراً من مقلّديه صاروا من مقلّدي السيّد حسين

---

(١) محمّد كاظم بن حسين الهروي الخراساني الآخوند: أحد الأُصوليّين المعروفين. ولد في طوس سنة ١٢٥٥ هـ، وتتلمذ في الفقه على: الشيخ راضي النجفي، والشيخ الأنصاري، والميرزا محمّد حسن الشيرازي. ألّف: الكفاية، كتاب الإجارة، شرح التبصرة، وغيرها. توفّي سنة ١٣٢٩ هـ. (معارف الرجال ٢: ٣٢٣ ـ ٣٢٥، أعيان الشيعة ٩: ٥ ـ ٦، مع علماء النجف الأشرف ٢: ٤٥٦ ـ ٤٥٧).

(٢) محمّد كاظم بن عبدالعظيم الكسنوي الحسني الطباطبائي اليزدي: سيّد علماء الأُمّة. ولد في قرية كسنو اليزدية سنة ١٢٤٧ هـ، وقرأ على: الشيخ محمّد باقر الأصفهاني، والشيخ مهدي الجعفري، والشيخ راضي الجعفري، والميرزا الشيرازي. من أشهر مؤلّفاته: العروة الوثقى، حاشية المكاسب، كتاب التعادل والتراجيح. ظهرت في أيّامه قضية المشروطة في إيران، فعارضها. توفّي في النجف الأشرف بداء الرئة وداء الجنب سنة ١٣٣٧ هـ. (الفوائد الرضوية: ٥٩٦ ـ ٥٩٨، ريحانة الأدب ٤: ٣٣٤ ـ ٣٣٥، معجم المؤلّفين ١١: ١٥٦).

(٣) فتح الله بن محمّد جواد النمازي الشيرازي المعروف بشيخ الشريعة الأصفهاني: من أكابر العلماء ومن أساتذة الفقه والأُصول والمعقول والمنقول. تصدّى للتدريس والبحث والتأليف، وحارب الإنجليز بعد وفاة الميرزا الشيرازي، وتوفّي سنة ١٣٣٩ هـ. له: أصالة الصحّة، حاشية الفصول، إفاضة القدير، الردّ على الهداية، رد المتّقين، صيانة الإبانة، وغيرها من المؤلّفات النافعة. (ريحانة الأدب ٣: ٢٠٦، الفوائد الرضوية: ٣٤٥، من علماء النجف الأشرف ٢: ٣٢٥).

(٤) أبو الحسن بن محمّد بن عبدالحميد الموسوي الأصفهاني: عالم إماميّ معروف. ولد سنة ←

الحمّامي.

وأمّا في الفلسفة والكلام فقد حضر على يد كلٍّ من: المرحوم الميرزا أحمد الطهراني، والشيخ علي النوري، والسيّد علي أصغر الهزارجريبي.

له تأليفات كثيرة، نشير هنا إلى بعض منها:

١ ـ تعليقة على كتاب ذخيرة الصالحين.

٢ ـ هداية المسترشدين.

٣ ـ تقريرات في الأُصول (تقريرات دروس الآخوند الخراساني).

٤ ـ حاشية على كتاب «وسيلة النجاة».

٥ ـ تقريرات في الفقه (مجموعة تقريرات دروس السيّد كاظم اليزدي وأبي الحسن الأصفهاني).

٦ ـ تقريرات في الحكمة والكلام (مجموعة تقريرات لدروس أساتذته في هذا المجال).

وبعد عمر قضاه في التدريس والتأليف وخدمة الدين، توفّي آية الله الحمّامي عام ١٣٧٩ هـ في النجف الأشرف، ودفن هناك[1].

← ١٢٨٤ هـ، وحضر أبحاث: الميرزا حبيب الله الرشتي، والآخوند الخراساني. كان رجلاً واسع المعرفة عميق الفكر حسن التدبير. من مؤلّفاته: وسيلة النجاة، شرح الكفاية، عدّة رسائل لعمل مقلّديه. توفّي سنة ١٣٦٥ هـ في الكاظمية، وحمل جثمانه الطاهر إلى النجف، فدفن في حجرة الصحن الغروي. (معارف الرجال ١: ٤٦ ـ ٤٩، معجم رجال الفكر والأدب ١: ١٢٩، مع علماء النجف الأشرف ٢: ٦٢ ـ ٦٣).

(١) أعيان الشيعة ٦: ١٣١ ـ ١٣٢.

الفصل الثالث:

نشاطات مغنيّة الاجتماعيّة



في مسند القضاء

في عام ١٩٤٨ م هاجر الشيخ محمّد جواد مغنيّة من منطقة «طيرحرفا» إلى بيروت، وهناك اقترح عليه أن يشغل منصب القضاء في المحكمة الجعفرية العليا ببيروت، فقبل الاقتراح بهدف خدمة المحرومين والمستضعفين من أبناء شعبه.

وبعد عام ١٩٤٩ م عيّن مستشاراً في المحكمة الجعفرية العليا، وفي عام ١٩٥١ م تسنّم منصب رئاسة المحكمة[1].

بقي الشيخ في منصبه هذا حتّى عام ١٩٥٦ م، وخلال هذه المدّة قام بخدمات كثيرة. بعد ذلك أُوكل منصب رئاسة المحكمة إلى غيره، وبقي مستشاراً للمحكمة حتّى عام ١٩٦٨ م.

لم يدخل مغنيّة عالم الرئاسة والمناصب طمعاً بالدنيا وحطامها، بل كان ينشد في ذلك خدمة الناس وتطبيق العدالة.

في عام ١٩٥٦ م طلب أحد المسؤولين اللبنانيّين (وزير الزراعة كاظم الخليل) من مغنيّة أن يصدر حكماً قضائياً وفقاً لما يريده هو، حتّى قال له فيما قال: «استجب لطلبي، فإنّي سأُثبّتك في الرئاسة»، فامتنع الشيخ عن ذلك قائلاً له: «إنّي أهتمّ أوّلاً بتثبيت ديني قبل تثبيتي في الوظيفة. أمّا الكرسي فظلّ زائل».

بعد هذه الحادثة ـ تحديداً في عام ١٩٦٨ م ـ اعتزل مغنيّة عن جميع

---

(١) تجارب محمّد جواد مغنيّة بقلمه: ١٠٨.

مسؤولياته، واشتغل بالبحث والتأليف(١).

الإصلاحات في قانون المحكمة

من أبرز الخدمات التي قام بها الشيخ محمّد جواد مغنيّة إبّان تصدّيه لرئاسة المحكمة الشيعية هو التعديل الذي أحدثه في قوانين المحكمة الشيعية في الفترة التي سبقت رئاسته لها، حيث كان انتخاب قاضي المحكمة الشيعية ـ وبخلاف قضاة سائر المذاهب والأديان(٢) ـ يتمّ من خلال ترشيحه من قبل الشخصيات المشهورة في البلد. وواضح أنّ هذا السياق وهذه الآلية كانت تسبّب عدّة اختلالات في النظام القضائي الشيعي، حيث كثيراً ما يحدث أنّ أشخاصاً يشغلون هذا المنصب دون أن يكون لهم التأهيل الكافي أو الصلاحية اللازمة لذلك، وهذا يتمّ بفعل الوساطات التي يعملها بعض الشخصيات المؤثرة والقوية في سبيل تحصيل ورقة تعريف من علماء النجف.

لقد وعى الشيخ محمّد جواد مغنيّة هذه المشكلة وأدرك مدى خطورتها، فبذل جهوداً كبيرة ودخل في مفاوضات عديدة استطاع من خلالها أن يسنّ قانوناً جديداً لحلّ هذه المشكلة، هو كالآتي:

يجب على القاضي الشيعي أن يتوافر على شرطين أساسيين، هما:

١ ـ أن يكون قد درس في الحوزة العلمية بالنجف الأشرف.

٢ ـ أن يشترك في الاختبار المخصّص بالقضاء أُسوة بباقي القضاة، وأن

---

(١) تجارب محمّد جواد مغنيّة بقلمه: ١٠٩ وما بعدها.

(٢) لبنان تتقاسمها طوائف عديدة، منها: الشيعة، والسنّة، والمسيحيّون، ولكلّ طائفة محكمتها الخاصّة بها، حيث تصدر أحكامها وفقاً لقوانينها المختصّة بها.

يجتاز الاختبار بنجاح.

وبتصويب هذا القانون تمّ قطع الطريق على البعض ممّن كانوا يشغلون منصب القضاء دون أن يكون لهم التأهيل الكافي لذلك.

ثمّة مشكلة أُخرى كان نظام المحكمة الشيعية يعاني منها، وهي: أنّ المادّة (٢٤٠) من قانون المحاكم الشرعية في لبنان يصرّح بأنّ نصب القضاة أو نقلهم أو ترقية رتبتهم في القضاء لا يكون إلّا بعد استطلاع رأي مجلس القضاء الشرعي، والملاحظ أنّ أغلب أعضاء هذا المجلس كانوا من أبناء السنّة، فكانوا يتدخّلون بمصير القضاة الشيعة.

فاستطاع الشيخ مغنيّة ـ بعد جهود مضنية ـ أن يجري تعديلاً في هذه المادّة، حيث زيد عليها هذه الفقرة: «وإذا أصدر هذا المجلس قراره بالأكثرية في حقّ أحد الجعفريّين لا يكون نافذاً إلّا إذا كان معه العضو الجعفري على القرار».

اعتزال العمل القضائي(*)

(*) **الأسباب الحقيقية:**

زارني في سنة ١٩٥٣ م في منزلي القائم بأعمال السفارة الأمريكية، ودعاني باسم السفير إلى لقاء على ظهر إحدىٰ حاملات الطائرات الأمريكيّة الراسية في مياه بيروت. فطردته ورفضت، وسأُفصّل القصّة في فصل آت. وقال لي مدبر عامّ في الدولة ـ لن أذكر اسمه ـ: ستدفع الثمن غالياً! وأجبته: أعرف ذلك... وكنت قد شرت في الصحف وخطبت في الاحتفالات الوطنيّة مهاجماً أميركا وإسرائيل ومشروع إيزنهاور «الفراغ» وحلف بغداد الذي كان ركيزته نوري السعيد، وأشدّ المتحمّسين له شمعون لبنان.

←

← **الدسّ الرخيص:**

اشتدّت محاربتي من العملاء والرجعيّين ولجأوا إلى السلاح الوحيد الذي يشهره الرجعيّون وأذناب الاستعمار في وجه الأشراف والأحرار، وهو الرجم والتهمة الباطلة بأنّي يساري وشيوعي هدّام، ولا يجوز بقائي في منصبي الديني الحسّاس، ولأنّ ذلك يشكّل خطراً على الطائفة الشيعية في نظر الاستعمار وعملائه!

أمّا التهمة باليسار والشيوعية لا تفزعني؛ لأنّ هذه الفرية وألف من أمثالها لا تؤثّر عليّ بمقدار تأثير الغبار على حذائي! لأنّي على يقين من ديني وإيماني وعدله، وإنّي أحمده تعالى على حظّي عند شرار خلقه.

إنّ التهمة باليسار والشيوعيّة كانت موضة العصر في الخمسينات، يطلقها الخونة والرجعيّون ضدّ كلّ وطني ينادي بالعدل والحريّة، وفي حينها ألصقت هذه التهمة بالكثير من المناضلين في لبنان والعالم العربي.

والواقع أنّ هذه التهمة المعيّنة أخذت الطابع الحركي والآيديولوجي بعد أن انطلقت من الولايات المتّحدة باسم «المكارثية» نسبةً إلى السيناتور الأميركي جوزف مكارثي.

ولقد عانى من هذه الحركة جميع الأحرار في العالم حتّى في أميركا نفسها، وما لبثت أن تلاشت المكارثية في أواخر الخمسينات مع تلاشي مكارثي نفسه، وتنفّس العالم الصعداء.

موقف السلطة:

الواقع أنّ قصصي كثيرة مع أصحاب الفخامة، وأصحاب العطوفة، ودولة الرؤساء، ومعالي الوزراء، وحضرات السادة النوّاب. لاحظ الألقاب! ولا مجال لذكر هذه القصص عند نهاية هذا الفصل من الكتاب، ولكنّي سأكتفي بنصّ هاتين البرقيتين، وأترك التعليق للقارئ الكريم.

الجمهورية اللبنانيّة

سرّي

عدد: ٥٦١٢

حضرة رئيس محكمة الاستئناف الشرعيّة الجعفرية العليا:

←

← نشرت جريدة «التلغراف» في عددها ٢/أيلول/سنة ١٩٥٢م/عدد: ٢٢٥٤ المرسل ربطاً مقالاً مذيّلاً بإمضائكم تحت عنوان «الرأسماليّة والإقطاعيّة».
وبما أنّ هذا المقال تناول أموراً سياسيّة لا ينبغي للقضاء التعرّض إليها أو البحث فيها.
لذلك ألفت نظركم إلى وجوب الامتناع عن الخوض في مثل هذه المواضيع السياسيّة.
بيروت ٣/أيلول/١٩٥٢م
وزير العدلية
وفي سنة ١٩٥٨م أبرق رئيس مجلس النوّاب إلىٰ كلّ من رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء البرقيّة التالية:
«إنّ الشيخ محمد جواد مغنيّة نشر مقال إهانة وذمّ بمجلس النوّاب ورئيسه بشكل لا يمكن ولا يصلح السكوت عنه، وإنّ حضرات السادة النوّاب يلحّون بوجوب اتّخاذ الموقف الحازم بأسرع ما يمكن».

رأسمالي الحقيقي

نتيجة التجربة:

والدرس الذي انتفعت به من بُعدي أو إبعادي عن رئاسة المحكمة هو أنّ النجاح لا يقاس بالوظائف وقبض الرواتب، ولا بالفوز والانتصار على زعيم أو كبير في حلبة الصراع معه علىٰ مال أو منصب... وإنّما النجاح في الاستقامة علىٰ نهج الحقّ وعدم التسامح مع أعدائه، وفي الكفاح المتواصل من أجل هدف نبيل يخدم الإنسان والحياة.
خرجت من رئاسة المحكمة وانتهى المسرح مع القراصنة والسماسرة، وتمايلوا في خيلاء، وانتهبوا الفرصة، فخلا لهم الجوّ، يفعلون ما يشاؤون... وتحرّرت أنا بحمدالله من التبعات وأعباء الخصومات، وانصرفت إلى الكتاب والقلم، وقرّرت أن لا أُمارس شيئاً من مهمّة الشيوخ إلّا الجواب عمّا يُوجّه إليّ من الأسئلة، والتزمت بهذا المنهج، وأخذت به نفسي... لا أزوّج ولا أُطلّق، ولا أُصلّي بجماعة أو علىٰ جنازة، ولا أقبل الإيصاء من أحد، ولا أقبض الحقوق والصدقات، ولا أقبل الأمانات، أبداً لا أستعطي وإنّما أُعطي... وأوصي إليّ مرّات فتهرّبت من الوصيّة، وعُرضت عليّ أموال طائلة من حقّ الله فرفضت.

←

← وبالأمس القريب اعترضت طريقي عجوز فقيرة، وقالت: أنا ذاهبة إلىٰ الحجّ، وعندي من حق الله ٣٠٠ ليرة، وأنت بها أولىٰ وأدرىٰ... قلت: لعلّك ضالّة عن الذين تريدين، قالت: كلّا، أنت الشيخ مغنيّة، قلت لها ملاطفاً: عندي غير جبّتي هذه ثلاث جُبب، وإذا أخذت منك الـ ٣٠٠ ليرة فسأشتري جبّة خاصة تفوق بأبّهتها جبب الشيوخ مجتمعة! أليس الأولىٰ أن تنظري البائسين والمعوزين في بلدك، وتوزّعين عليهم المبلغ، علىٰ أن يكون نصفه للسادة الفقراء من نسل الرسول ﷺ والنصف الآخر لغيرهم من المحتاجين؟! وإذا عرفت عاملاً يضيق كسبه عن عياله، ويعجز عن تعليم أطفاله، فادفعي عنه ثمن الكتب وقسط المدرسة... فاقتنعت وقالت: أفعل.

المناصب الرسميّة:

أجمع فقهاء المذاهب قولاً واحداً علىٰ أنّ التعاون مع الظالم الجائر من أعظم المحرّمات وأشدّها، حاكماً كان أو غير حاكم... وأجاز كثير منهم أن يتولّىٰ المرء أيّة وظيفة في حكومة الحاكم الجائر، شريطة أن يقيم حقّاً أو يدفع باطلاً، واستدلوا بالآية (٥٥) من سورة يوسف: ﴿قال اجعلني علىٰ خزائن الأرض﴾ وفي الحديث: «كفارة عمل السلطان قضاء حوائج الإخوان» ومع هذا، فإنّ لعلماء الشيعة الإماميّة تقليداً ورثوه جيلاً عن جيل، وهو أنّ ابن العلم والدين ينبغي له أن يبتعد عن كلّ منصب يسند إليه بمرسوم أو إذن من الدولة، سواء أكان المنصب قضاءً أم إفتاءً أو رئاسة (مجلس ملّي)، ومن يتولّىٰ شيئاً من ذلك نظروا إليه بعين الاستخفاف.

عُرضت رئاسة المحكمة الجعفرية بلبنان علىٰ الكبار من علماء الشيعة فاستنكفوا عنها، وقبلها شيوخ من الدرجة الثانية أو الثالثة.

ويتساءل المرء: مادام الأمر كما ذكرت، فلماذا تولّيت مركز القضاء؟

الجواب: أجل، كنت في غنىً عن القضاء، لو أنّي قبلت أن يتفضّل عليّ الآخرون، أو أن أستسلم لعيش الكفاف، ولكن أبت عليّ نفسي الاستجداء، وطمحت إلىٰ حياة أشرف وأرغد، علىٰ أنّي لا أذمّ العاقبة، للأمور التالية:

(منها): شعوري بأنّ الله سبحانه قد أرفق بي حين عجّل بإخراجي من القضاء قبل أن تصير ←

أشرنا فيما سبق أنّ الشيخ محمّد جواد مغنيّة تمّ إقصاؤه عن منصبه؛ لامتناعه عن الرضوخ لضغوط تقضي بإصدار حكم قضائي جائر(*).

← كلمة قاضي مرادفة لكلمة «ملوّث».

و(منها): أنّ وجودي في بيروت أتاح لي الاتّصال بالعقول الكبيرة والاطّلاع على أحداث العصر، والمشاركة في معركة التحرّر الوطني. وفتحت لي آفاقاً أوسع، فنشرت في الجرائد والمجلّات، وأذعت في الراديو والتلفزيون، وحاضرت وخطبت في الأندية والمجتمعات، ودرّست في الجامعة، ورجع العديدون إليّ من الذين كتبوا الماجستير والدكتوراه، واستعان بي من كتب عن الشريعة الإسلاميّة والشيعة والتشيّع. بالإضافة إلى الأجوبة عن الأسئلة الدائمة للمحامين الذين يرافعون في المحاكم الشرعيّة والمدنيّة.

و(منها): صلتي بدور النشر التي نشرت كتبي، وبلغت أربع عشرة داراً. وبخاصة دار العلم للملايين التي نشرت لي الموسوعات الثلاث: «تفسير الكاشف، في ظلال نهج البلاغة، فقه الإمام جعفر الصادق»، بالإضافة إلى العديد من المؤلّفات. والتي شجّعتني بصدقها ووفائها على المضي في طريق التأليف، ولو بقيت قابعاً في قرية دون الانتقال إلى بيروت لتعذّر عليّ أن أكتب ما كتبت وأقرأ ما قرأت... بل وأهجر ما هجرت.

كانت مواقفي في القضاء وحملاتي على الاستعمار والإقطاع والرجعيّة سبباً لثقة الأحرار بي، كما أنّ دفاعي عن الإسلام ونشر مبادئه جعلني محلّ تقدير عند العلماء الطيّبين والناس الشرفاء. ألا يكفيني هذا الرأسمال؟! نعم، اللهمّ، أدم عليّ هذه النعمة. (تجارب محمّد جواد مغنيّة بقلمه: ١١٤ ـ ١٢٠).

(*) صدر المرسوم بإقصائي عن رئاسة المحكمة العليا. أعلى منصب ديني شيعي في ذلك الوقت، كما أُقصي الشيخ محمّد عبده من منصبه مشيخة الأزهر، ولكنّي بقيت مستشاراً لدى المحكمة حتى سن التقاعد أتقاضى راتبي دون أن أحضر للوظيفة ولا أتدخّل في شؤون المحكمة إلّا فيما ندر.

لقد كان الخير كل الخير فيما وقع، إذ أخرجني الله سبحانه من دنس الحكومات ومراسيمها شريفاً مرفوع الرأس، ويسّرني إلى أفضل الأعمال وأنبلها، إلى الانصراف للبحث والتأليف، إلى «تفسير القرآن»، و«شرح نهج البلاغة»، و«موسوعة فقه الإمام الصادق عليه السلام»، و«في ظلال الصحيفة السجّادية»، إلى العشرات ممّا أخرجته لي المطابع.. أيّهما أفضل هذه الأسفار

←

نعم، طالما وجد أُناس يريدون أن تسير الأُمور لصالحهم دوماً، وإذا كانت لهم السلطة أو كانوا من أصحاب النفوذ تراهم يسعون جاهدين لحسم الأُمور بما يخدم مصالحهم، سواء عن طريق تقديم الرشاوى أو التهديد والإرعاب.

إلّا أنّ الشيخ محمّد جواد مغنيّة طوال مدّة تصدّيه لرئاسة المحكمة أو عندما كان يشغل منصب المستشار، لم يصدر حتّى حكماً واحداً مغايراً للعدل والحقّ.

من أجل ذلك أرادوا إسقاط الشيخ من خلال بثّ الإشاعات المغرضة، والتي تنال من شخصيته، حتّى اتّهموه بالشيوعية(١).

وهنا ندع الكلام للشيخ مغنيّة ليتحدّث لنا عن آخر دعوى قضائية كانت بعهدته، والتي تسبّبت في عزله عن مقامه.

يقول الشيخ مغنيّة: «إنّ رجلاً من بلدة جويا اسمه محمّد مصطفى صوفان هاجر إلى تشيلي، وتزوّج هناك من امرأة، ولدت له ولدين، ثمّ توفّي وأُمّه على قيد الحياة. وكّلت أُمّه فاطمة المحامي الوزير كاظم الخليل لينفي حفيديها ولدي ابنها الميّت من ميراث أبيهما، ويحصر الميراث بها خاصّة دون سواها، على أن

← الخالدات أم الكرسي الزائل؟! وشتّان ما عاقبته البقاء، وما عاقبته الفناء!

لا آسفاً، خرجت من الرئاسة إلى العيش بكدّ اليمين وعرق الجبين والربح الحلال، وحظّي كبير وتوفيقي أكبر؛ لأنّ ما من شيء حُرمته عن طريق العبد إلّا وعوضه الله أضعافاً مضاعفة. وكان صديقي الشاعر الضابط العميد محمّد جواد دبّوق قد نظر بعين الغيب حين تحررتُ من رقّ الوظيفة، وحيّاني بهذه الأبيات:

عابوا عليك طريق الحقّ تسلكه ... وكلّ من ضلّ نهج الحقّ فهو عمي
وحاربوك لعدل ما حكمت به ... إلّا لتنصف أهل الحقّ والذمم
مازلت في عون مظلوم تناصره ... فالله عونك رغم الظالم الآثم

(تجارب محمّد جواد مغنيّة بقلمه: ١١٣).

(١) تجارب محمد جواد مغنيّة بقلمه: ١١٤ ـ ١١٥.

يكون الوزير كاظم الخليل شريكاً لها في التركة في اتّفاق ثانٍ بينهما. ولقد استطاع كاظم وبوسائله المعروفة أن يحصل من محكمة صور على قرار بحرمان الأولاد من تركة أبيهم، ولكن المحامي وكيل الأولاد استأنف الحكم إلى المحكمة العليا، ورفعت الدعوى إليّ. راجعني كاظم مرّات عديدة مرغّباً تارةً ومرهّباً أخرى.. ولمّا يئس منّي رجاني أن أرجئ النظر في الدعوى وأؤجّل إصدار الحكم، فرفضت وكنت أدرك تماماً العاقبة عند إصداري الحكم ضدّ كاظم الخليل.. ولكن هل أنفي الابن اليتيم من ميراث أبيه؛ لأنّ الزعيم الخطير يريد ذلك؟! وهل هذا عذر عند الله تعالى؟! فأصدرت الحكم، وهو مسجّل في المحكمة الجعفرية العليا برقم ١٠٨ / أساس ٢٣، بتاريخ ١٩٥٥/١٢/٢٨م»[1].

وقد أدّت هذه الحادثة إلى أن يسعى الوزير كاظم الخليل بمساعدة عادل عسيران[2] رئيس مجلس النوّاب الشيعة في عزل الشيخ عن منصبه.

السفر إلى قم

طوال عمره قام آية الله الشيخ محمّد جواد مغنيّة بعدّة رحلات إلى دول وبلدان مختلفة.

(١) تجارب محمّد جواد مغنيّة بقلمه: ١١٢ ـ ١١٣ (بتصرّف).

(٢) عادل عسيران هو من الحاقدين على الشيخ مغنيّة، وذلك لأنّه قد رشّح شخصاً ليشغل مركزاً في القضاء الجعفري، لكن مرشّحه سقط في الامتحان.

وعادل هذا رجل سياسة لبناني، نائب ووزير ورئيس المجلس النيابي غير مرّة،من مواليد سنة ١٩٠٥ م. خلّفه في مقعده النيابي ولده علي في نطاق التوريث السياسي باعتبار الجمهورية إمارة لا دولة حديثة. توفّي عادل عسيران سنة ١٩٩٨ م. (ملحق موسوعة السياسة: ٥٢٥).

ففي عام ١٣٧٩ هـ سافر إلى سوريا، والتقى بالشيخ أبي زهرة[١]. وفي عام ١٣٨٢ هـ سافر إلى مصر وإيران. وأمّا سفرته إلى دولة البحرين فكانت في عام ١٣٨٥ هـ، كما كانت له سفرة إلى الحجاز، حيث أدّى هناك أعمال ومناسك الحجّ.

عن رحلته إلى إيران يكتب الشيخ مغنيّة:

«بعد أربع سنوات قضيتها مع التفسير الكاشف تمّ بعون الله.. وقلت: لا تأليف ولا عمل بعد اليوم.. أبداً لا شيء إلّا الراحة والسياحة. وقال لي أخ يعلم حالي: يستحيل أن تدع التأليف، وستعود إليه من حيث لا تريد.. سافرت إلى مدينة أسوان، وقضيت فيها وفي القاهرة حوالي شهر، وفكّرت أن أبقى في مصر حتّى النهاية، ولكن أوضاع الحرب بينها وبين إسرائيل منعتني من التنفيذ.. عدت إلى بيتي ومكتبتي لأتساءل من جديد: أين أُلقي بمتاعبي وهمومي؟ إلى أن تلقّيت دعوة من المرجع الديني آية الله شريعتمداري[٢] يرغّب إليّ فيها أن أُدرّس في

(١) محمّد أحمد مصطفى أبو زهرة: عالم مصري معروف. ولد في مدينة المحلّة سنة ١٩٨٩ م، وتربّى بالجامع الأحمدي بطنطا، وتعلّم بمدرسة القضاء الشرعي، وتولّى التدريس في المدارس الثانوية، ثمّ اتّجه صوب البحث العلمي في كلّية أُصول الدين، وتسنّم عدّة مناصب، منها: أُستاذ محاضر للدراسات العليا في الجامعة، وعضو المجلس الأعلى للبحوث، ووكيل كلّية الحقوق بجامعة القاهرة، ووكيل معهد الدراسات الإسلاميّة. كان رجلاً عالماً شجاعاً. له مؤلّفات كثيرة، منها: الخطابة، أُصول الفقه، الوحدة الإسلاميّة، تنظيم الإسلام للمجتمع، المعجزة الكبرى، محاضرات في النصرانيّة. توفّي بالقاهرة عام ١٩٧٤ م. (عظماء الإسلام: ٣٧٥ ـ ٣٧٦).

(٢) محمّد كاظم بن حسن بن محمّد الشريعتمداري: أحد علماء الإماميّة. ولد سنة ١٣٢٢ هـ في تبريز، وتعلّم فيها المقدّمات، ثمّ سافر إلى قم ومنها إلى النجف، فحضر على: الشيخ النائيني، والشيخ محمّد حسين الأصفهاني، والشيخ ضياء الدين العراقي، والسيّد أبي الحسن
←

دار التبليغ. فوقفت منها حائراً هل أقبل أو أرفض، وبقي هذا التساؤل أكثر من شهر، ثمّ أوكلت الأمر إليه تعالى، واستفتحت بكتابه المجيد، فواجهتني هذه الآية: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾[1]، وفسّرتها بما ينسجم مع أُمنيتي: الهداية والراحة والتحرّر من الهموم والمتاعب.. أجبت الدعوة على شرط أن أُسافر إلى قم على حسابي وبصفتي زائراً لا مقيماً، وأدرس الأوضاع فيها عن كثب. وعلى ضوئها أُقرّر الإيجاب أو النفي.. ولمّا قبل الشرط عزمت وتوكّلت. وقد استهوتني بقم أكثر من أيّ شي الحركة العلمية، فمن حلقات لدروس الخارج إلى أُخرى لدراسة السطوح، وثالثة لتفسير القرآن، ورابعة لنهج البلاغة. ومن المحاضرات الأُسبوعية هنا وهناك إلى النشرات الدينية لتربية الجيل وليظلّ ارتباطهم بدينهم حيّاً وقوياً. وأمّا دار التبليغ فرأيتها تعجّ بالأساتذة والتلاميذ»[2].

بقي أن نشير إلى أنّ رحلته إلى إيران كانت في عام ١٣٩٠ هـ، حيث قام بإلقاء دروس في التفسير والكلام في تلك المؤسّسة. وبعد عامين قضاها في إيران قفل الشيخ راجعاً إلى بيروت، بعد زيارته لمرقد الإمام الرضا عليه السلام، وذلك في عام ١٣٩٢ هـ[*].

← الأصفهاني. وبلغ مرتبة الاجتهاد، فقفل عائداً إلى قم سنة ١٣٦٩ هـ، وأصبح مرجعاً في الفتيا والتقليد، من مصنّفاته: اجتماع الأمر والنهي، توضيح المسائل، اللباس المشكوك، مناسك الحجّ. توفّي سنة ١٤٠٦ هـ. (مع علماء النجف الأشرف ٢: ٥٧٠ ـ ٥٧١).

(١) سورة الصافّات ٣٧: ٩٩.

(٢) فلسفة التوحيد والولاية: ٦.

(*) **في مشهد الإمام الرضا عليه السلام:**

في مساء اليوم الأخير من رمضان المبارك من عام ١٣٨٢ هـ/ ١٩٦٣ م، طرت من بيروت ←

← إلى إيران دون أن أُعلم أحداً من الأهل والأصدقاء قاصداً زيارة الإمام الرضا عليه السلام التي كنت أتشوّق إليها من سنوات وسنوات.
وبعد ليلتين ويوم كامل طرت من طهران إلى خراسان مشهد الإمام الرضا عليه السلام، واستغرقت المسافة ساعتين، وما أن دخلت خراسان حتّى شعرت بأنّي خلقت خلقاً جديداً، كإنسان تلقّىٰ العفو بعد أن حكم عليه بالإعدام وأيقن بالموت، أو منطلق من سجن قضىٰ فيه سنوات تحت الأرض! أمّا سبب هذه الفرحة المفاجئة وهذا الابتهاج اللاشعوري فلم أفكّر به أو ألتفت إليه آنذاك... وقد خيل إليّ الآن، وأنا أكتب هذه الكلمات، أنّه الإحساس بشرف التوفيق والهداية إلىٰ زيارة مقام الإمام الرضا عليه السلام.

مشهد:
وبعد، فإنّ الحديث عن مشهد الإمام الرضا عليه السلام طويل متشعّب الأطراف، فقد تقدّم هذا البلد العظيم الأمين الصفوف، واحتلّ الصدارة مدىٰ الأجيال، وسجّلات التاريخ حافلة بأسماء الشخصيّات الخراسانيّة، كالخواجة نصير الدين الطوسي، والإمام الغزالي، والمحقّق الخراساني صاحب «الكفاية»، ومن إليهم، ومازال حتّى اليوم يعمل علىٰ نشر العلم وخدمة الدين، ويأتي بأطيب الثمار وأنفعها ولكن بصمت وهدوء، فإنّ فيه من علماء الدين ألفين ومائتين، وتأتي مشهد في الدرجة الثانية بعد قم بإيران، وتشاركها والنجف الأشرف في كلّ ما لهما من خصائص وامتيازات... وإلىٰ جانب هذا توجد المدارس والمعاهد والكليّات الحديثة، وفيها الأُلوف من الأساتذة والطلّاب.
ومن دواعي الأسف أن يكون لمشهد هذه المكانة، ثمّ لا تحتلّ محلّها اللائق بين الشعوب من الشهرة، حتّىٰ عند الشيعة أنفسهم، وأن لا تجد من يعرّف بها وبحقيقتها حتّىٰ من أبنائها!
ومن هنا كان العدد الخاصّ من «العرفان» بمقام الإمام الرضا عليه السلام كتاب الساعة، فقد نوّه بخطورة هذا البلد وآثاره الجليلة، ولفت الأنظار إلىٰ رجاله وأبطاله، وكأنّ العناية الإلهية قد حملت المغفور له الشيخ أحمد عارف الزين إلىٰ هذه الأرض الطيّبة، لينتقل منها إلى رضوان ربّه، ثمّ حملت ولده إليها لزيارة مقام الإمام وقبر أبيه؛ ليقدّم للأجيال صورة حيّة قوية عن عظمة المشهد ومن فيه وما فيه.

←



شيخ بهائي:

كنت أذهب إلىٰ الحضرة الشريفة مرّة في النهار، والثانية في الليل، وبعد الزيارة والصلاة أجلس منفرداً في بعض الزوايا، وكانت تتوارد عليّ في هذه الجلسة أفكار وصور لا تمت إلىٰ عالمنا هذا بسبب قريب أو بعيد، وذات مرّة ـ وأنا قابع في زاويتي ـ رآني شيخ إيراني، فجلس إلىٰ جانبي. وقال: من أيّ البلاد؟ قلت: من جبل عامل. فقال: به به ـ أي: بخ بخ ـ شيخ بهائي (رحمه الله). وكان إذا مرّ به زائر يقول له: تعال تعال، وانظر هذا الشيخ، فإنّه من بلد شيخ بهائي!

فقلت في نفسي: إذا سئلت بعدها فلن أذكر جبل عامل، ولأنّي هربت إلىٰ الله من الناس ومن نفسي وميولها، ومن كلّ شيء، هربت إليه سبحانه خائفاً راجياً أن يرحم ويغفر، وتوسّلت إليه بكلّ سبيل، حتّىٰ بالعفو والصفح عمّن أساء إليّ، ونالني منه أذىً، وانتهك منّي حرمة، عسىٰ أن يكون ذلك صدقة مقبولة، وعوضاً عن منّه تعالىٰ وعفوه وكرمه، أمّا من أدركته منّي إساءة، ولحقته منّي ظلامة فقد توسّلت إليه عزّ وجلّ أن يرضيه عنّي من فضله، ويفيه حقّه من خزائنه، ويخلّصني من جميع ما عليّ من ديون وغرامات له وللناس، وما ذاك علىٰ الله بعزيز... والذي جرّأني على هذا الطلب شعوري بأنّي لاجئ في أرض الإمام عليه السلام مستجير بحرمه الشريف.

وفي اليوم الثاني احتجت إلىٰ ركوب «التاكسي»، وما أن تحرّكت خطوات، حتّىٰ سألني السائق عن بلدي، فقلت: لبنان، فقال: به به.. شيخ بهء.. فدمعت عيناي من غير شعور، وأدركت للحين أنّ الفضل في احترام الإيرانيّين للعامليّين مدىٰ الأجيال يعود إلىٰ هذا العظيم.. ولكنيّ فكّرت مليّاً: ما هو السرّ لتعظيم هذا الشيخ وخلوده، حتّىٰ يعظّم ويكرّم كلّ من ينتسب إلىٰ بلده وأرضه؟ هل هو علمه وكشكوله ومخلّاته؟ كلّا، فكم عالم كتب وألّف، ولم يكن له ما كان لهذا العظيم من القداسة والخلود، إذن لا سرّ إلّا تعلّم لله، وعمل لله وحده، لا للشهرة، ولا لمنافعه ومنافع أبنائه.

→ **لبنان بلد الخبز والحرّية:**

وكنت أنّي توجّهت في طهران وخراسان، في الحضرة المقدّسة، والأوتيل، والمكتبة، والسيّارة، والحانوت، في المجالس العامّة والخاصّة، وعرفت أنّي غريب من لبنان، يوجّه إليّ هذا السؤال، وأظنّ أن الإيرانيّين يوجّهونه لكلّ غريب، وهو: هل تستطيعون التعبير عن أفكاركم بحريّة؟ هل يجد العامل والكاسب السبيل إلى الحياة الطيّبة له ولأولاده؟ وهل تعيشون في أمن وهدوء؟

وكنت أُجيب: بأنّ كلّ لبناني يتمتّع عندنا بالحريّة الكاملة، ويعبّر عن أفكاره متىٰ شاء، وأين أراد في الصحف وفي المحافل، ومن علىٰ المنابر، حتّىٰ الأكراد الذين يعيشون في لبنان ولا يحملون هوية لبنانيّة يعيشون بتمام الحريّة، وربّما امتاز لبنان بأنّه ليس للحكومة فيه صحيفة تخصّها وتبرز أعمالها مهما كانت وتكون، وأنّها تستمدّ قوّتها من البرلمان فقط، لا من الصحف وما إليها.

هذه لمحة خاطفة ومجمل سريع لذكريات الليالي الخمس التي قضيتها في مشهد الإمام الثامن عليه السلام. ولو انتقلت بالقارئ من شعور إلى شعور، ومن صورة إلىٰ صورة، ومن لفتات النفس إلى وحي الضمير والعقل، من بداية هذه الرحلة الروحية إلى نهايتها، لطال القول، واستغرق كتاباً، لا مقالاً أو مقالين.

والله سبحانه المسؤول أن يجعلها خالصة لوجهه الكريم، والصلاة والسلام علىٰ محمّد وآله الطاهرين وأهل مشهد الأكرمين. (تجارب محمّد جواد مغنيّة بقلمه: ٣٦٧ ـ ٣٧٠).

الفصل الرابع:

التقريب بين المذاهب



يقول محمّد مهدي شمس الدين[1] في حديث لـه عن الشيخ مغنيّة: «كان هاجس الشيخ محمّد جواد مغنيّة في سني الفتنة هذه التي تجرر فينا ونجرر فيها، كان هاجسه الوحدة الوطنية والوحدة الإسلامية والجنوب»[2].

لقد بذل الشيخ محمّد جواد مغنيّة جهوداً حثيثة في سبيل تحكيم الوحـدة الإسلامية. حيث كان يستغلّ كلّ فرصة للانفتاح على علماء أهل السنّة والتحاور معهم، في خصوص الوحدة، وما هي السبل والآليات التي تكفل تـحقيقها عـلى أرض الواقع.

في عام ١٩٦٠م التقى بالشيخ محمّد أبي زهـرة بـدمشق[*]. وفـي عـام

(١) محمّد مهدي بن عبدالكريم شمس الدين: عالم إمامي. ولد فـي النـجف سـنة ١٣٥٤ هـ، وانخرط في سلك دراسة العلوم الدينية، ودرس على يد: السيّد محسن الحكـيم، والسـيد الخوئي، وأصبح أحد العلماء الأفذاذ، وعاد إلى لبنان عام ١٩٦٩ م، ووقف الى جانب السيّد موسى الصدر في نشاطاته السياسية والثقافية والاجتماعية، وبعد اختطاف السيّد الصـدر تولّى شمس الدين إدارة المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى. من مـؤلّفاته: نـظام الحكـم والإدارة في الإسلام، أنصار الحسين، محاضرات في التاريخ الإسـلامي، عـقائد الشـيعة الإمامية، التحقّق الوجودي في الإسلام. (مع علماء النجف الأشرف ٢: ٥٧٢ ـ ٥٧٤).

(٢) تجارب محمّد جواد مغنيّة بقلمه: ٥٨٧.

(*) في سنة ١٩٦٠ م اجتمعت بالشيخ أبي زهرة في دمشق، حيث اشتركنا معاً في مهرجـان الغزالي، وكنت أنا ممثّلاً للبنان، وقضينا وقتاً ممتعاً، ونحدّثنا طويلاً، فقال لي فيما قال: «حين ألّفت كتاب «الإمام الصادق» كنت على علم اليقين بأنّه سيغضب السنّة والشيعة معاً؛ لأنّي لم ←

١٩٧٠م زاره الدكتور مصطفى محمود[١]. كما كانت له لقاءات مع كلّ من الشيخ: الفحّام[٢] فقيه الأزهر، والشيخ الشرباصي[٣]. وفي مدينة قم استضاف الشيخ الحصري[٤].

← أقل ما يريد أُولئك، ولا كلّ ما يريد هؤلاء».
فقلت له: نحن نرحّب بكلّ نقد من أيّة جهة أتىٰ، علىٰ شريطة أن يكون بدافع الإخلاص متحرّراً من رواسب الماضي ومخلّفاته.
ولا أخفي القارئ أنّي شعرت بالتقدير لشخصه، رغم أنّي لا أُوافقه علىٰ كثير من آرائه، وكنت ـ قبل أن نلتقي ـ انتقدته في بعض مؤلّفاته، ورددت عليه بمقال مطوّل ومفصّل. وكان حين يقدّمني لمعارفه يقول: «هذا الذي ردّ عليّ وانتقدني».
وبالختام يكفي أن نتذكّر ما كتبته الأقلام المأجورة عن الشيعة والتشيّع، لنكبّر ونقدّر الشيخ أبا زهرة في كتابه «الإمام الصادق». (تجارب محمّد جواد مغنيّة بقلمه: ٣١٧ ـ ٣١٨).

(١) شيعة در مصر أز عصر إمام علي تا إمام خميني (الشيعة في مصر من عصر الإمام علي إلى عصر الإمام الخميني): ١٤٤.

(٢) الدكتور محمّد الفحّام: شيخ الجامع الأزهر. ولد بالإسكندرية سنة ١٨٩٤ م، وسلك في تعلّمه المسلك الذائع في عصره، ودرس بالأزهر، فحاز على شهادة العالمية سنة ١٩٢٢ م، وحصل على شهادة الدكتوراه في الآداب بدرجة الشرف الممتازة من جامعة باريس سنة ١٩٤٦ م، ثمّ درّس بالأزهر، وأصبح عميداً لكليّة اللغة العربية بجامعة الإسكندرية، واختير إماماً للأزهر سنة ١٩٦٩ م، وسافر إلى عدّة دول لإلقاء المحاضرات. من كتبه وبحوثه: المذكّرات في النحو، المذكّرات في الأدب المقارن، سيبويه. توفّي سنة ١٩٤٣ م. (الأزهر في ألف عام ١: ٣٥٠ ـ ٣٥٣ و٢: ٥٠ ـ ٥١).

(٣) الدكتور أحمد الشرباصي: أحد علماء الدين المصريّين. ولد في الدقهلية سنة ١٩١٨ م، وتخرّج في كلّية اللغة العربية سنة ١٩٤٣ م، ونال شهادة العالمية سنة ١٩٤٥م، واشتغل مدرّساً في عدّة معاهد، واختير أميناً للجنة الفتوى بالأزهر. من جملة مؤلّفاته: حركة الكشف، سيرة السيّدة زينب، صلوات على الشاطئ، في رحاب الصوفية، أيّام الكويت. توفّي عام ١٩٨٠ م. (الأزهر في ألف عام ٣: ٤٦٣ ـ ٤٧٦).

(٤) شيعة در مصر أز عصر إمام علي تا إمام خميني (الشيعة في مصر من عصر الإمام علي إلى عصر الإمام الخميني): ١٥٠.

في مصر

في عام ١٣٨٢ هـ المصادف لسنة ١٩٦٣م سافر آية الله مغنيّة إلى مصر بهدف التقريب بين المذاهب الإسلامية. وهناك بدأ أوّلاً بزيارة مرقد رأس الحسين عليه السلام، ثمّ زار المرقد المطهّر للسيّدة زينب (سلام الله عليها)، ثمّ بعد ذلك توجّه لزيارة مسجد الأزهر.

لقاؤه بعلماء مصر

زار الشيخ محمّد جواد مغنيّة كلّاً من جامعة الأزهر والقاهرة وعين شمس، كما زار مؤسّسة دار الكتب.

بعد ذلك التقى بشيخ الأزهر الشيخ محمود شلتوت، ودار بينهما حديث حول الوحدة الإسلامية والسبل الكفيلة بتحقيقها(*).

(*) مع شلتوت شيخ الأزهر:

ترجع معرفتي بشيخ الأزهر المرحوم الشيخ محمود شلتوت إلى سنة ١٩٤٩ م، حين ناقشت فتواه بجواز طمر الهدي وحرقه على صفحات «رسالة الإسلام»، ثمّ جرت بيننا كتابات ومراسلات، وقرأ لي، وقرأت له.

اجتمعت بالشيخ شلتوت في داره سنة ١٩٦٣ م، فأهّل ورحّب، واستقبلني أفضل استقبال، وحين قدّم لنا شراب الليمون أبى إلّا أن نشرب معاً من كأس واحد، فكان يشرب قليلاً، ويناولني الكأس، فأشرب من سوره... وجرى بيننا حديث الشيعة والتشيّع، فأثنى وأطنب، وقال فيما قال: «إنّ الشيعة هم الذين أسّسوا الأزهر، وبقي أمداً غير قصير تدرّس فيه علومهم ومذهبهم، ثمّ أعرض القائمون عليه عن هذا المذهب، فحرموا من نوره الساطع، وفوائده الجمّة».

وممّا قلته له: إنّ مكانتكم عند علماء الشيعة كبيرة وسامية، وقد تظنّون أنتم أو يظنّ غيركم أنّ
←

تجدر الإشارة إلى أنّ علاقة الشيخ مغنيّة بالشيخ شلتوت تعود إلى عام ١٣٦٨ هـ، ويعدّ الشيخ شلتوت من مؤسّسي دار التقريب بين المذاهب ومن الدعاة إلى الوحدة الإسلامية، وكما هو معلوم أنّ الشيخ شلتوت يلقى تعاطفاً

→ السبب هو فتواكم بجواز التعبّد بمذهب التشيّع، والحقيقة أنّ العارفين من علمائنا ينظرون إلى فتواكم هذه علىٰ أنّها مجرّد نظر واجتهاد، ولو أفتيتم بالعكس لقالوا: هكذا أدّىٰ نظره واجتهاده، قياساً علىٰ أنفسهم، وعملاً بمبدأ الاجتهاد الذي لم يقفلوا دونه الأبواب والنوافذ.. أجل، إنّ فتواكم هذه تنبئ عن الجرأة وعدم المبالاة بلوم اللائمين في الحقّ والعدل.. إنّ علماء الشيعة يحترمونكم؛ لخدماتكم الدينيّة، ونصحكم للإسلام، وإنّهم مع كلّ من يناصر الدين وينصح له كائناً من كان.

وإنّ من عقيدتنا نحن الشيعة أنّ الخلافة لعلي بعد النبي ﷺ. ولكن من عقيدتنا أيضاً أن لا نثير أيّ خلاف يضرّ بالإسلام، سواء أكان حول هذا المبدأ، أو غيره، تماماً كما فعل أمير المؤمنين مع الخليفة الأوّل، وقال: «لأسالمنّ ما سلمت أُمور المسلمين»، فالتفت الشيخ إلى الحاضرين، وقال: «إنّ السنّة لا يعرفون هذه الحقيقة، ويجهلون نصح الشيعة للإسلام ونبيّه».

ثمّ حدّثني عن جرأته بعد أن قلت له: إنّ فتواكم تنبئ عن الإقدام والجرأة قال: «في سنة ١٩٢٦م أصدر المفتي الأكبر بمصر فتوىٰ تخالف الدين، فتصدّيت له، ورددت عليه في الصحف والأندية، فأحالوني علىٰ التأديب والمحاكمة، وجاء في قرار الإحالة: يجب أن يؤدّب شلتوت حتّىٰ لا يجرأ ـ بعد ذلك ـ الصغار علىٰ الكبار! فقلت في الدفاع: «إنّ شلتوتاً ليس بأصغر من المرأة التي اعترضت علىٰ عمر بن الخطاب، ولا المفتي بأكبر من عمر!».

فقلت معقّباً: يقولون: إنّ لدىٰ العرب صواريخ وقنابل ذرّية، وما دروا أنّ لدينا نحن أهل الحقّ والإسلام قنابل وصواريخ أعظم أثراً، وأشد خطراً علىٰ الباطل، ولكنّها تحتاج إلى خبراء فنّيين، كالشيخ شلتوت، تماماً كما يحتاج إطلاق الصواريخ وإلقاء القنابل إلى أهل الاختصاص.. فبان عليه السرور لهذا التشبيه.

وبعد، فإنّ أيّامي في القاهرة، وإن كانت قصيرة وقليلة في عددها، فإنّها كثيرة وكبيرة في أثرها، فلقد أرشدتني إلى الكثير ممّا كنت أجهل، كما أنّها وطّدت العلاقة بيني وبين عدد من فضلاء الأزهر ورجاله، والله سبحانه المسؤول أن يكون لهذا الرحلة أحسن النتائج والثمرات... (تجارب محمّد جواد مغنيّة بقلمه: ٣١٨ ـ ٣٢٠).

واسعاً بين علماء الشيعة، وذلك بسبب فتواه التاريخية التي أفتى فيها بجواز العمل بالفقه الشيعي، ومنذ ذلك التاريخ كانت هناك مراسلات بين هذين العلمين تكشف عن مدى التقارب والتفاهم بينهما فيما يرتبط بالوحدة الإسلامية.

وعندما حلّ الشيخ مغنيّة في مصر عام ١٣٨٢ هـ تمّ اللقاء بينهما. وعن هذا اللقاء يكتب الشيخ محمّد جواد مغنيّة:

«اجتمعت بالشيخ شلتوت في داره سنة ١٩٦٣م، فأهّل ورحّب... وجرى بيننا حديث الشيعة والتشيّع، فأثنى وأطنب، وقال فيما قال: إنّ الشيعة هم الذين أسّسوا الأزهر، وبقي أمداً غير قصير تدرّس فيه علومهم ومذهبهم، ثمّ أعرض القائمون عليه عن هذا المذهب، فحرموا من نوره الساطع وفوائده الجمّة. وممّا قلته له: إنّ مكانتكم عند علماء الشيعة كبيرة وسامية... وإنّ فتواكم ـ جواز التعبّد بمذهب التشيّع ـ هذه تنبئ عن الجرأة وعدم المبالاة بلوم اللائمين في الحقّ والعدل. إنّ علماء الشيعة يحترمونكم لخدماتكم الدينية... وإنّ في عقيدتنا نحن الشيعة أنّ الخلافة لعلي بعد النبي ﷺ، ولكن من عقيدتنا أيضاً أن لا نثير أيّ خلافٍ يضرّ بالإسلام، سواء أكان حول المبدأ أو غيره، تماماً كما فعل أمير المؤمنين مع الخليفة الأوّل... فالتفت الشيخ إلى لحاضرين وقال: إنّ السنّة لا يعرفون هذه الحقيقة، ويجهلون نصح الشيعة للإسلام ونبيّه»(١).

حقيقة التشيّع

ممّا لا شكّ فيه أنّ أحد سبل تحكيم الوحدة والتقارب بين المذاهب هو أن

---

(١) تجارب محمّد جواد مغنيّة بقلمه: ٣١٨ ـ ٣١٩.

يطّلع علماء كلّ مذهب على أحكام ومعتقدات المذهب الآخر.

سبق وأن أشرنا إلى وجهة نظر أحد أئمّة الجماعة في مصر في خصوص الشيعة. الواقع الذي لا شكّ فيه أنّ الكثير من الناس من أتباع مدرسة الخلافة وحتّى بعض علماء هذه المدرسة لا يعرفون شيئاً عن حقيقة التشيّع. وما يبدونه من عداء لمذهب أهل البيت إنّما يصدر عن تعصّبات وشائعات واتّهامات سمعوها من هنا وهناك. والحال أنّ الهدف الذي تسعى إليه المذاهب واحد، وهو التقرّب إلى الله سبحانه وتعالى.

كان دأب الشيخ مغنيّة هو الدفاع عن التشيّع وردّ الاتّهامات والأباطيل التي تكال إلى الشيعة(*)، وهو بذلك يكون قد أسهم في تحكيم أُسس الوحدة

(*) **الشيعة الإماميّة الاثني عشرية:**

منذ أكثر من ألف عام وعلماء الإماميّة يكتبون ويذيعون عن عقيدة الاثني عشرية؛ كيلا ينسب إليهم ما ليس لهم به علم، ويستدلّون عليها بالنصوص بعد درسها وتمحيصها؛ كيلا يكون لأحد فيها مهمز أو مغمز، ويحرصون كلّ الحرص أن يكون سندها محلّ وفاق بين المسلمين، لأنّ الشرط الأساسي عندهم لمدرك العقيدة أن يكون قطعي السند والدلالة على حدّ تعبيرهم، أي: العلم القاطع بصحّة السند ووضوح دلالته وضوحاً لا يقبل الشكّ والتأويل إذا كان المدرك نقلاً عن المعصوم..

وبرغم هذا الحرص والتشدّد قال قائل: كلّ تشيّع من أيّ نوع كان ويكون فهو رفض، أي: غلو، وقال آخر: هو زندقة! وتسامح ثالث وتساهل قائلاً: الشيعة كلّهم باطنية!

ولا شيء من هذه الأقوال يقوم على أساس غير التقليد والتعصّب؛ لأنّ الاثني عشرية يعتقدون بأنّ الغلو شرك، والزندقة إلحاد، وإخفاء العقيدة والتأويل بلا مبرّر من الشرح أو العقل بدعة وضلالة.. وأثبتّ ذلك بالأرقام في كتاب «الشيعة الإماميّة».

ويبدأ تاريخ الاختلاف بين المسلمين حول الخلافة، يبدأ باليوم الذي انتقل فيه الرسول الأعظم ﷺ إلى الرفيق الأعلى، حيث دان قوم بما حدث في السقيفة كأمر واقع لا مفرّ منه،

←

← أو لا يجوز الخطأ عليه، وأنكروا النصّ على الولاية بمعنى الخلافة والسلطة مع الاعتراف بولاية أهل البيت على معنى الحبّ والاحترام، ودان آخرون بنصوص الولاية لآل الرسول ﷺ على معنى الخلافة، وأوضحت ذلك مفصّلاً في كتاب: «فلسفة التوحيد والولاية».

وقد اتّسع الجدال والنقاش حول الخلافة على مرّ الزمن، ثمّ تطوّر إلى التراشق بالاتّهامات وخبث الكلمات، ولعبت السلطة الحاكمة دورها في التمزيق والتفتيت، كما هو شأنها في كلّ جيل..

وحاول المصلحون من الفريقين أن يجمعوا ويوحّدوا حرصاً على مصلحة الأُمّة، فخفّت الوطأة إلى حدّ، بخاصّة بعد أن تكرّرت النكبات والعثرات في كلّ بلد مسلم.

والآن وبعد أن تراكمت الهزائم والمشكلات عربياً وإسلامياً، فماذا نحن صانعون إذا لم ندفن الماضي، وننظر إلى المستقبل الطويل العسير، ونواجه بالعمل الجدّي الموحّد؟! وهذا ما يخافه ويخشاه العدوّ المشترك.. فأطلق بلسان أبواقه وعملائه صيحات منكرة لإيقاظ الفتنة، وكتبوا مقالات مضلّلة، ونشروا كتباً متخمة بالدسّ والافتراء، لا بأيّ دافع إلّا صالح الاستعمار والصهيونيّة..

فدعاني هذا إلى أنّ أعرض عقيدة الشيعة، وبخاصّة الفرقة الكبرى الاثني عشرية، أعرضها على حقيقتها، وأدرسها دراسة تفصيليّة في ثلاثة مؤلّفات، هي: «الشيعة والتشيّع»، و«مع الشيعة الإماميّة»، و«الاثنا عشرية».

ولمّا كثر الطلب على هذه الكتب الثلاثة جمعتها في مجلّد واحد بعنوان: «الشيعة في الميزان».

أطلب من القارئ على أن ينظر إلى عقيدة التشيّع من خلال الإسلام، وعلى ضوء كتاب الله وسنّة نبيّه، لا من خلال عقله؛ لأنّ العقل مهما سما يظلّ مقصّراً عن إدراك كثير من الحقائق الإلهيّة، ككيفيّة الصلاة، وعدد الركعات، والهرولة في الحجّ، ورمي الجمار، وما إلى ذلك.

وتقول: أراك تهتمّ كثيراً بأمر الشيعة والتشيّع، فهل فرغنا من مشاكل الحياة، ولم يبق إلّا التعريف بهذه الطائفة وصحّة ما تدين به وتعتقد؟ أو أنّ هذا أهمّ وأجدى؟

أجل، إنّ المشاكل التي نعانيها لا تتّصل في واقعها بقضيّة التشيّع والتسنّن من قريب أو بعيد، ←

← بل إنّ حديث هذه القضيّة والاهتمام بها يزيد المشاكل تعقيداً، ويجعلها مستحيلة أو عسيرة الحلّ، وهذا ما يريده لنا المستعمرون والصهاينة، أعداء الدين والوطن، إنّهم يريدون أن نتلهّىٰ بالمشاحنات والنعرات الطائفيّة؛ ليعزلونا عن الحياة، ويخلو لهم الجوّ.. ويظهر أنّ لهم جهازاً ضخماً، يعرف مداه من قرأ كتاب: «الخلافة» للنبهاني، وكتاب: «أبو سفيان» للحفناوي، وكتاب: «الخطوط العريضة» لمحبّ الدين الخطيب، ومجلّة «التمدّن الإسلامي» التي تصدر بدمشق، والنشرات المتتابعة التي يصدرها «أنصار السنّة» بالقاهرة، ومقال الجبهان في مجلّة «راية الإسلام» السعودية، عدد ربيع الآخر سنة ١٣٨٠ هـ، وغيرها وغيرها..

لقد دأب هذا الجهاز في تآليفه ونشراته علىٰ مهاجمة الشيعة، وتصويرهم كطائفة ملحدة مجرمة تكيد للإسلام والمسلمين.. والغرض الأوّل هو تنفيذ «الخطوط العريضة» التي رسمتها أمريكا وإسرائيل لإيقاظ الفتنة، وإشاعة الفرقة بين المسلمين..

فرأيت من واجبي أن أُنبّه الأفكار إلى مقاصد هذا الجهاز الفاسد وأهدافه، وأقطع الطريق عليه بالكشف عن عقيدة الشيعة، مع الإشارة إلىٰ شيء من تاريخهم؛ ليتبيّن للناس المزاعم الكاذبة التي لفّقها أُولئك المأجورون.

وبديهة أنّ الشيعة ليسوا من القبائل البائدة التي خيّم الظلام عليها وعلىٰ آثارها، حتّىٰ يُتقوّل عليهم بالحدس والتخمين.. فهذه بلادهم منتشرة في شرق الأرض وغربها، ومؤلّفاتهم العقائدية وغيرها تغصّ بها المكتبات العامّة والخاصّة، أمّا علماؤهم فلا يبلغهم الإحصاء، وهم يرحّبون بكلّ من يريد جدالهم ونقاشهم بالحكمة والمنطق.. إذن يستطيع طالب الحقيقة أن يعرف عقيدة الشيعة من كتبهم وعلمائهم دون الرجوع إلىٰ كتبي.. ومع ذلك، فقد عرضت عقائدهم بأُسلوبي الواضح الذي يقتصر علىٰ الجوهر واللباب، ولا يتكلّف الزخرف والتزويق، كي لا يبقىٰ عذر لمعتذر بعدم التفهّم للعبارات المطوّلة المعقّدة.

هذا، إلىٰ أنّ من يقرأ هذه الصفحات بتأمّل وإمعان يتبيّن له أنّها تهدف أوّل ما تهدف إلىٰ الأخذ والعمل بمبادئ الإسلام وتعاليمه، وإذا اهتمّت بالتشيّع فإنّما تهتمّ به لأنّه من الإسلام في الصميم بنصّ القرآن الكريم والسنّة النبويّة، بل هو ركن من أركانه برواية الصحابي الجليل أبي سعيد الخدري. وبالتالي، فإنّي من الذين يؤمنون أنّ المستقبل للحبّ والإخاء ←

والتقارب بين المذاهب، وذلك لأنّه عندما يكتب ردّاً على كتاب يتضمّن مجموعة من الشبهات والاتّهامات حول التشيّع يكون ذلك كاشفاً عن أنّ الحقيقة مغايرة لما ورد في أمثال هذه الكتب، وأنّ الشيعة بريئون من كلّ تلك الشبهات والخرافات.

والشيخ محمّد جواد هو أوّل من تصدّى للردّ على كتاب «الخطوط العريضة» لصاحبه محبّ الدين الخطيب. ويعدّ هذا الكتاب من الكتب الأوائل التي أُلّفت ضدّ التشيّع، وتمّ طبعها في مصر[1]. وبسبب الردّ الذي كتبه تلقّى الشيخ مغنيّة العديد من رسائل التهديد والتحذير.

← الإنساني، وأنّ روح التعصّب آخذة بالزوال يوماً بعد يوم، حتّىٰ لا يبقىٰ لها عين ولا أثر إن شاء الله، وعندها لا يجد الانتهازيّون وتجّار الطائفيّة مجالاً للدسّ والتخريب.

والله سبحانه المسؤول أن يستعملنا في مرضاته، إنّه أرحم الراحمين، وصلّىٰ الله علىٰ محمّد وآله الطاهرين. (تجارب محمّد جواد مغنيّة بقلمه: ٢٤٥ ـ ٢٤٨).

(١) تجارب محمّد جواد مغنيّة بقلمه: ٣١٧.



الفصل الخامس:

شخصيّة الشيخ مغنيّة
الخصائص والمميّزات



محبّة أهل البيت ﷺ

يرى الشيخ مغنيّة في مرجعية أهل البيت العلمية أنّها المصدر الأساس الذي لابدّ من الرجوع إليه والمنهل العذب الذي لابدّ من الانتهال من معينه. ولذا نجده يطرق بابهم ويحتكم إليهم في كلّ كتبه وما أُثر عنه.

يعتقد الشيخ مغنيّة بل يقسم أنّه قرأ مختلف الكتب، وطالع الآراء قديمها وجديدها، شرقها وغربها، فتوصّل إلى أنّ كلّ ما يفيد الناس موجود بشكل أكمل وأفضل في التراث الإسلامي، لا سيّما تراث أهل البيت(١)، وبالأخصّ في كلمات الإمام علي ونجله الإمام الصادق ﷺ.

للشيخ مغنيّة علقة خاصّة بالإمام سيّد الشهداء الحسين بن علي ﷺ، فلم يغرّه ما قدّم من مؤلّفات ومقالات وخطب ومواقف على كثرتها ونزاهتها، بل بقي دائماً يتوجّس ساعة الحساب بين يدي الله سبحانه.. وهل للنجاة من محنة ذلك الموقف المهيب وأن لا تنقلب أعمال الإنسان عليه حسرات خير من سفينة الحسين سيّد الشهداء؟ كلّا، والله!

يقول الشيخ: «وهذا ما دفع بي إلى زيارة سيّد الشهداء ﷺ في العاشر من

---

(١) راجع كتاب «مفاهيم إنسانية في كلمات الإمام الصادق ﷺ».

المحرّم من كلّ عام منذ سنة ١٩٦٨م مستشفعاً بفضل الله وكرمه وبأهل الشفاعة من صفوة خلقه».

وماذا يريد مغنيّة وقد تجاوز ـ كما يقول ـ العقب الثلاث؟ يجيب: «أُريد من الحسين كلمة واحدة.. الشفاعة!»[١].

مذكّراته

اعتاد الشيخ محمّد جواد مغنيّة على تدوين مذكّراته، يقول الشيخ في هذا الخصوص: «كنت طالباً في النجف الأشرف أُسجّل لنفسي في دفتر صغير بعض ما أسمع أو أقرأ، ومازلت أحتفظ به، وجريت على عادتي هذه حتّى اليوم. وقد مضى على الدفتر النجفي أكثر من (٥٠) عاماً. وابتدأته بكلمة من الله سبحانه وتعالى تنذر وتحذّر من يقول فيكذب، ويعاهد فينكث، وهي هذه الآية الكريمة: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[٢]. هذا هو شعاري منذ معرفتي بالله وجلاله وإلى يومي الأخير»[٣].

كتاب «تجارب محمّد جواد مغنيّة بقلمه»

و«تجارب محمّد جواد مغنيّة بقلمه» كتاب أصدرته مؤسّسة دار الجواد في

(١) محمّد جواد مغنيّة (حياته ومنهجه في التفسير): ٥٢ ـ ٥٣.
ومقصود الشيخ من العقب الثلاث: عقبة اليتم والتشريد، ثمّ عقبة الدرس وطلب العلم، وأخيراً عقبة التأليف والنشر.

(٢) سورة ق ٥٠: ١٨.

(٣) محمّد جواد مغنيّة (حياته ومنهجه في التفسير): ١٦.

بيروت. والذي قام بترتيب وتنظيم هذا الكتاب هو عبدالحسين مغنيّة ابن الشيخ، وطبعه بعد وفاة والده.

عن هذا الكتاب يكتب جواد علي الكسّار ـ وهو من الكتّاب الإسلاميّين ـ قائلاً: «إنّ الكتاب جدير بالقراءة في أوساطنا... لا لعمق أفكاره وتعقيد تنظيره، ولكن لعمق الروح الإنسانية التي تتحرّك بين ثناياه»[(١)].

يقول عبدالحسين مغنيّة في مقدّمة الكتاب: «أردت أن يكون كتاب (تجارب محمّد جواد مغنيّة بقلمه) أوّل إصدار لدار الجواد، إلّا أنّ الوالد (تغمّده الله برضوانه) رفض أن ينشر هذا الكتاب في حياته، وكان له في ذلك حكمة ورغبة»[(٢)].

---

(١) المصدر المتقدّم: ١٥ (الهامش الأوّل).

(٢) نفس المصدر: ١٥ (الهامش الأوّل).



الفصل السادس:

التأليفات



كاتب مرموق

ممّا لا شكّ فيه أنّ الكاتب الذي يعتمد في كتابته على التراث الأصيل والمصادر الأُمّ وبمقدوره أن يعيد صياغة ما ورد في التراث بلغة عصرية وبيان ساحر، سيحتلّ مكانة مرموقة لدى أبناء مجتمعه. ولا ريب أنّ أحد أسباب النجاح الكبير الذي أحرزه الشيخ محمّد جواد مغنيّة في مجال الكتابة والتأليف يكمن في مطالعاته المعمّقة والواسعة، حيث كان دائم القراءة(*).

(*) أُحبّ أن أقرأ كثيراً، وأكتب قليلاً، بل لا أُحبّ أن أكتب إلّا إذا لم أجد مفرّاً من الكتابة، أي: عندما أحسّ في نفسي شيئاً لا يدعني أهدأ وأستقرّ حتّى أعلنه للناس.

إنّي أتعطّش إلى القراءة والمطالعة، وأودّ أن أشغل وقتي كلّه فيها ليل نهار، ولكنّي لا أجد السبيل إلى تحقيق هذه الرغبة في كلّ حين، لا لأنّ وقتي لا يتّسع للقراءة أو لا أجد صحيفة أو كتاباً يستحقّان العناية، وإنّما السرّ في ذلك أنّي لا أستطيع المضي في قراءة صحيفة أو كتاب إلّا إذا توافرت فيه العناصر التالية:

أن يكون التعبير بسيطاً واضحاً بعيداً عن الزخرف والتضخّم واللفّ والدوران، وأن يكون الكاتب واقعياً يرتبط بعصره ارتباطاً كاملاً، وأن يكون عالماً بالتاريخ والأحداث وقوانين التطوّر والأسباب والنتائج، ومخلصاً لا يستوحي أقواله وأحكامه من رغبات رجعيّة أو أجنبيّة.

وبقول أوضح: إنّي أرغب في قراءة ما يقوّم المعوج من أفكاري ويثبت لي بالأرقام والأدلّة الحسيّة أنّي على خطأ في بعض ما أعتقد، أو يرشدني إلى حقائق لم أعرفها ولم أسمع بها من قبل، أو يذكر لي الحلول السليمة لمشاكلنا السياسيّة والاقتصاديّة، أو يحدّثني عن شعب كافح وناضل حتّى تحرّر من الاستعمار والاستثمار، أو عن عصامي لم يكن شيئاً فأصبح

←

← بفضل جهاده وشجاعته إنساناً مذكوراً.
فإذا تهيّأ لي شيء من هذا اشتريته بأغلى الأثمان، وآثرته على كلّ عزيز، وأقبلت عليه بشغف وشوق، ولا أدعه حتّى انتهي منه، فإذا فرغت من قراءته ترك في نفسي أثراً يحملني على الحديث عنه، والتفكير به أمداً طويلاً.
إنّ الإنسان لا يريد أن يكون كوكباً لامعاً، ولا وليّاً يأتي بالمعجزات، ولا ملاكاً يطير بجناحين من سماء إلى سماء، ولا جبّاراً طاغياً يتحكّم بالملايين، وإنّما يريد أن يحيا حياة طيّبة كريمة في هذه الأرض التي عليها ولد.
لقد مضى الزمن الذي كانت تُفسّر فيه الأحداث بالقضاء والقدر، وتقسّم فيه الناس إلى سادة وعبيد، ويوجّه الدين والأخلاق إلى خدمة الظلم والطغيان.. لقد مضى عهد الدين الذي يعدّ الصبر على الذلّ فضيلة، وتحمّل الاضطهاد منقبة، ومضى عهد الأدب الذي يسبّح بحمد البغي والفساد، ومضى عهد العلم الذي يؤخذ من أفواه الرجال لا من الواقع.. لقد تغيّر الزمن، وتغيّرت معه المقاييس، فالعلم اليوم يعتمد على الواقع لا على الأفكار والتصوّرات، والقيم ليست بشيء إذا لم تحطّم أغلال الذلّ والاضطهاد، والدين تخريف وشعوذة إذا لم يدعُ إلى التعاون والحبّ الإنساني الشامل للناس أجمعين، والأدب تسلية وزخرف إذا لم يعبّر عن شعور الجماهير ويقف إلى جانب الكادحين، والصحافة عامل هدّام إذا خافت بأس الظلمة وقبضت من أيدٍ قذرة.

قبل أن أمسك بالقلم..

مع أخ كريم:

قال لي فاضل وكريم من السادة الأشراف: «نحن وأنت في سباق مع الفارق في الميدان.. أنت تكتب، ونحن نقرأ».. وكأنّ فرحي بقراءته أشدّ من غبطتي بما يدرّه عليّ حقّ التأليف؛ لأنّه إلى زوال، قلّ أو كثر، ولكن هاج بي الطمع في العقبى.
وأنا بدوري سلخت أعواماً مديدة في القراءة.. أنقّب عن شوارد الأفكار ونوادرها، أُدرّب بها ذهني على النموّ والتفكير، وأُرمّم ما فيه من ثغرات وفجوات قبل أن أُمسك بالقلم، وحتّى الآن؛ لأنّ ترميم البيت أوّلاً، ثمّ السكنى.. وإذا اهتديت إلى حكمة استضيء بنورها أصابني ←

← ما يشبه مسّ الكهرباء، وأتذكّر قول من قال حيث يطالع ويذاكر: أين السلاطين ممّا نحن فيه؟ أما لو فطنوا لنا لقاتلونا عليه بالسيوف! وقال غيره: هذه هي اللذّة من غير إثم.

يقرأ ويصفّق:

ومن جملة ما قرأت في هذا الباب: أنّ رجلاً كان يقرأ. وهو مستلقٍ في فراشه، وفجأة وبلا شعور قفز وأخذ يهتف ويصفّق طرباً! وهكذا تفعل البذرة الصالحة في الأرض الطيّبة. أو كما قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام حين صعق همّام عند سماعة الخطبة الشهيرة: «هكذا تصنع المواعظ البالغة بأهلها». وإذا الفكرة الإنسانية ليست بشيء إذا لم تصادف قلباً راغباً ومزاجاً قارئاً.

المطالعة دليل التقدّم:

الغربيّون والقراءة:

يثير إعجابي الشديد أنّ ملايين الكتب تُطبع وتباع في الاتّحاد السوفياتي وأميركا والبلاد الأوربية، وأنّ معظم الناس في تلك البلاد يقرؤون ويتذوّقون، ويصحبون معهم الكتاب أنّى توجّهوا كزاد الطعام، وأنّهم «يتموّنون» من الكتب من أجل مطالعتهم الشهرية وحتّى السنوية. كما نتموّن نحن العرب من الفول والبصل والثوم!

وقرأت مرّة تعليقاً لصاحب دار نشر كبرى في الغرب أنّه قسّم الكتاب إلى نوعين: الأوّل تافه مسلّي، يقرأ مرّة واحدة ثمّ يُطرح كالورقة الخاسرة من أوراق «اليانصيب» أو كعود الثقّاب المحترق. والنوع الثاني الكتاب القيّم الناجح، يطالعه القرّاء عشرين مرّة وأكثر.. وأيضاً قسّم القارئ إلى نوعين: الأوّل يقرأ الكتاب بلا فكر وروية تماماً كما يقرأ الإعلان عن السلع والبضائع. والثاني يقرأ بقلبه وعقله ويستخلص منه التجربة النافعة والحكمة الغالية.

تذكّرت ـ وأنا أكتب هذه الكلمات ـ رجلاً من أهل الغرب قالت عنه بضع الصحف: إنّه يقرأ طوال حياته وساعاته، ولمّا سئل عن ذلك أجاب: بأنّه يشعر أنّ كتب البشرية بكاملها لا تكفيه، وأنّه يحسّ بالأسف لأنّ الحيوانات لا تستطيع أن تؤلّف، ويتمنّى لو يعرف ماذا يجول في عقل البغل والحمار من أفكار وانطباعات!

←

← **أهكذا يطالعون ؟**

وما أبعد ما بين القارئ الشغوف، وبين من يحسّ بأنّ القراءة أثقل على قلبه من الكابوس.. ومع هذا، إذا رأى كتاباً أسرع يُقلّب صفحاته وينتقد الطبع والإخراج، وإن وقع بصره بالصدفة على خطأ مطبعي طار به فرحاً، وتحدّث عن مطوّلاً!.. أمّا العالم حقّاً فيتسامح مع الأخطاء المطبعيّة، ولا يهتمّ كثيراً بالإخراج؛ لأنّ همّه الأوّل منصرف إلى الفكرة وما تهدف إليها.

وقال لي شيخ أمضى زمناً في النجف: «في مؤلّفاتك أخطاء مطبعيّة»! قلت له: ولماذا ركّزت اهتمامك على هذه الأخطاء بالذات ولم ترَ غيرها؟ وحبّذا لو ناقشت في خطأ فكري لا مطبعي.

وقال لي شيخ آخر معلّقاً عل كتابي: «فقه الإمام الصادق» بأجزائه الستّة: «لابدّ وأن تعمى من المطالعة والكتابة» فقلت له: وأنت أيضاً لابدّ أنّك فهمت جيّداً فقه الامام الصادق بدليل تعليقك «العظيم» يا أيّها «العلّامة الكبير»!

وسمع شيخ ثالث الثناء على كتاب: «فقه الإمام الصادق» فقال: «ولكن صاحبه جمعه من آيات الأحكام في القرآن وكتب الحديث والفقه وأُصوله»!.. وتجاهل هذا الشيخ أنّ هذه هي طبيعة كتب الفقه وحقيقتها، وأنّ مصادرها الكتاب والسنّة وإجماع العلماء والعقل وبناء العقلاء، وليس من شك أنّي لو أتيت بفقه جديد لأصدر حكمه عليّ بالمروق والتكفير! وهكذا يكشف المرء عن دخليته من حيث لا يريد.

وشيخ رابع صادفني ذات يوم، وفي يدي مجموعة من المجلّات والجرائد، فتعجّب وقال: «حرام عليك شراؤها، وكان الأولى أن تدفع ثمنها للشعب الفلسطيني»! قلت له: الحرام ما حرّمه الله وأنا بهذه الصحف أعرف من هم أعداء الشعوب والإنسانيّة، وأطّلع على أخبار الفلسطينيّين ومدى وعيهم وصمودهم وتضحياتهم، وأطّلع أيضاً على حركات التحرّر في كلّ مكان وأشاركها آمالها، وأقول كلمة الحقّ بقلمي ولساني، وأنا على بصيرة منه.. ولو استرسلت في هذا الباب لملأت عشرات الصفحات.

←

← **أنا والقلم:**

طموح:

كنت ـ وأنا طالب في النجف ـ أطمح إلى أن أكون عالماً مجتهداً يلبس ثوب العلم والدين باستحقاق وجدارة، وأن لا يختلف اثنان في علمي وفضلي، تماماً كما كان أبي الشيخ محمود وأخي الشيخ عبد الكريم، وغيرهما من علماء الأسرة التي يرجع تاريخها العلمي إلى أكثر من ثمان مائة سنة، كما في «معجم قرى جبل عامل» للشيخ سليمان ظاهر.

هذا ما كنت أطمح إليه يوم كنت طالباً في النجف الأشرف سيراً على طريق الأجداد والآباء، كما أشرت، وصوناً لكرامتي من سخرية عابث، وضحكة هازئ..

وأيضاً كنت أعتقد أنّ مستقبلي ومصيري يرتبط بنجاحي كفقيه مجتهد، ومن أجل ذلك أقبلت بكياني كلّه على الدرس وإتقانه.. وما خطرت المرجعيّة والرئاسة في بالي على الإطلاق، مع أنّي شاهدت هالتها حول ابن عمّ والدي المقدّس الشيخ حسين مغنيّة رئيس العلماء وثقة الأتقياء في عصره.

أجل، كنت أتمنّى أن أُحسن الكتابة ونظم الشعر؛ لأنشر في الصحف، ويرى الناس اسمي مطبوعاً في صفحاته، عسى أن أستحوذ على إعجابهم وتقديرهم.. وما عدا ذلك من أنواع العلاقة بين القارئ والكتاب والشاعر، كان آنذاك أبعد الأشياء عن فهمي وإدراكي..

وكنت من حين لآخر أُنظّم أبياتاً، أو أكتب مقالة، وأُرسلها إلى صاحب مجلّة «العرفان» فينشرها من باب التشجيع، كدأبه مع الناشئين (عليه الرحمة والرضوان). وكان ذلك في أوائل الثلاثينات. وأوّل كلمة نشرتها كانت معنونة بهذا الحديث: «إنّما الأعمال بالنيّات».

الكتابة وعي والتزام:

بعد عودتي إلى لبنان قرأت المئات من الكتب الحديثة في مواضع شتّى، وطالعت العديد من المجلّات العلمية والأدبية والاجتماعية، وتابعت الكثير من أنباء ما يحدث في الشرق والغرب من ثورات وأحداث ومؤامرات وأحلاف، أمّا التقدّم العلمي المذهل ومنجزاته وأخيراً الاستخدام الهائل للفضاء، ومخترعاته، فقد كنت وما زلت أبحث عنه وأقرأه بلهفة ودهشة.. وانتهيت من مجموع ما قرأت إلى أنّ العالم مهما بلغت مكانته من العلم ـ أيّ علم

←

← حتّى علم الدين والشريعة ـ لا يصلح للقيادة وتأدية رسالتها إذا وقف به عـلمه عـند تخصّصه المهني المحدود، وجهل أو تجاهل طبيعة الحياة في العصر الذي يعيش فيه، وما يجري من أحداث، ويتحكّم بأهله من أوضاع وتحدّيات.

ومن أجل هذا كتبت مقالاً حول الأضاحي التي تُذبح في الحجّ، ثمّ تُطمر فـي الأرض، أو تترك للتعفّن، ونُشـر هذا المقال في مجلّة «رسالة الإسلام» لدار التقريب في القاهرة بتاريخ: كانون الثاني سنة ١٩٥٠م بعنوان: «هل تعبّدنا الشارع بالهدي في حال يترك فيها للفساد؟».

وفي سنة ١٩٥١م كتبت مقالاً بعنوان: «نحو فقه إسلامي في أسلوب جديد»، ونُشـر في مجلّة «النشرة القضائية» التي تصدرها وزارة العدل في لبنان، ودعوت في المقالين إلى إعادة النظر في بعض المسائل الفقهيّة على أساس المصلحة العامّة، والعمل بـروح النـصّ لا بـظاهره، والهدف في التشريع، فقامت قيامة الشيوخ التقليديّين، وأثاروا العواصف!

ثمّ نشـرت مقالاً بعنوان: «الفقر وليد النظام الجائر» قلت فيما قلت: ليس الفقر من الله، ولا من صنع الطبيعة، وإنّما هو من صنع الإنسان والأوضاع الفاسدة. فعاتبني أحد الشيوخ وقـال: «كيف تقول: الفقر من صنع الناس لا من صنع الله؟»، قلت له: هذا قول رسـول الله وأهـل بيته ﷺ، فقد روى عنهم جماعة من العلماء، منهم صاحب الوسائل في أوّل باب الزكاة: «إنّ الناس لو أدّوا زكاة أموالهم ما بقي فقير»، «وإنّما يُؤتى الفـقراء مـن مـنع مـن مـنعهم مـن الأغنياء».

مهنة الكتابة:

قضيت في حياة التأليف والكتابة أمداً غير قصير، وتطوّر أُسلوبي، واتّسـعت أفكاري يوماً بعد يوم، ووجدت قرّاءً في بعض الأوساط، وربّما كنت أثيراً عند عدد غير قليل.. ويعود السـبب في ذلك إلى ما يلي:

التعبير والأُسلوب:

أوّلاً: من حيث التعبير والأُسلوب: لا أنقل المعنى إلى القارئ بالكلمات التي أتصوّرها في الوهلة الأُولى، وأيضاً لا أُطيل التفكير، بل لا أُفكّر إطلاقاً في نـقش الألفـاظ وزخـرفتها، ←

← وإظهار المهارة والبراعة في هذا الميدان؛ لأن التكلّف والتصنّع في التعبير أشبه بالرياء والنفاق في الدين.. وكثيراً ما أطيل التفكير أتحرّى الإيجاز والوضوح مع التركيز على المعنى المقصود.

أبداً ودائماً أضع نصب عينيّ هذه الأركان الثلاثة: التركيز والإيجاز والوضوح، وأراها ضرورية لنجاح الكتاب؛ لأنّ التركيز كالخطّ المستقيم لا ينحرف بالقارئ يميناً وشمالاً، ويجعله منسجماً مع الموضوع لا يتأرجح بينه وبين غره، أمّا الإيجاز فيبتعد بالقارئ عن الملل والضجر، وبالوضوح يدرك أدقّ الأفكار من غير جهد، ولهذا الركن أهميّة قصوى، والوسيلة إليه أن يسير الكاتب على سجيته، ويستخلص ما أمكن كلماته من لغة الناس العاديّين غير العاميّة طبعاً.

ويرى كثير من العلماء والأُدباء أنّه لا قواعد إطلاقاً لجودة الأُسلوب وفن الكتابة، وأنّ الكاتب العظيم لا يلتفت إلى شيء منها؛ لأنّ «أُسلوب الإنسان هو نفس الإنسان»، ويستحيل أن ينجح ككاتب إلّا إذا كانت له شخصيّة أدبيّة وموهبة فنيّة. ويلاحظ بأنّ الشخصية الأدبيّة والموهبة الفنيّة قاعدة أساس لبناء الأُسلوب، وعليه يكون كلّ من الموهبة والأُسلوب جزءاً متمّماً للآخر تماماً كاستعداد التلميذ والقارئ لتفهّم ما يدرس ويقرأ.

بعض القرّاء لا يطيقون الصبر على غموض التعبير وصعوبته، ويلقون بكلّ كتاب معقّد، ويسخطون عليه وعلى صاحبه، ويتلاشى بذلك حبّهم للقراءة والاطّلاع.. وليس من شك أنّ في ذلك خسارة بالغة على الكاتب؛ لأنّه يكتب للآخرين لا لنفسه، وأيضاً خسارة على القارئ الذي لا يقرأ للمتعة وكفى، بل يقرأ الكلمة لأنّها نور لعقله وغذاء لروحه.

ولعلّ خير الطرق لحلّ هذه المشكلة هو تصميم القارئ وعزمه على التفهّم مهما كلّفه الأمر، والصبر على التعقيد وإن طال أمد التأمّل والتفكير..

ويخطئ من يظنّ أنّ العلم والفهم وقف على أهل الاختصاص.. فقد كان دماغ «العقّاد» دائرة معارف، يكتب في أيّ علم شاء، وما درس منه ولا من غيره شيئاً في المدارس والمعاهد.. وقرأت له من جملة ما قرأت بحثاً في أُصول الفقه لا يأتي بمثله إلّا أُستاذ نجفي أو أزهري متضلّع. وفي مكتبتي ألوان من الكتب، وأكثرها لا يمتّ إلى اختصاصي بسبب، ومنها في الذرّة والألكترون.. قرأتها بصبر وعزم، ولمست بجوهرها الأساسي وبالصورة العامّة
←

← لموضوعها وأثره في الحياة، واستخلصت منها ما أنتفع وأستشهد به عند الاقتضاء.

وجاءتني رسالة من بلد عربي، قال كاتبها: إنّ مؤلّفاً سئل ـ بحضور كاتب الرسالة ـ عن سبب الفرق بين أُسلوبه الغامض الذي يصعب فهمه ويعسر هضمه وأُسلوب غيره الواضح الذي لا يكلّف القارئ أيّ جهد، فقال المؤلّف ـ وما زال الكلام لصاحب الرسالة ـ: إنّ الصعوبة في دقّة أفكاره وأهدافه، لا في تعبيره وأُسلوبه.

وهذا الجواب قديم جدّاً، له من العمر مئات السنين، وأظنّ أنّ المؤلّف يعلم ذلك، ويعلم أيضاً أنّ الفلاسفة الكبار شرحوا بوضوح وبساطة أدقّ المعاني والأفكار، وقد يحدث العكس، وتُغلّف الأفكار الواضحة بلغة قاتمة غامضة.

وبعد، فإنّ أُسلوب الكاتب يتأثّر إلى حدّ بعيد بشخصيته، فإن كانت له موهبة فنّية أدبيّة جاءت كلماته مشرقة متألّقة، وإلّا خانه النطق، وتكلّف وتعسّف.

قال العالم الكاتب الفرنسي «بافون»: «إنّ أُسلوب الإنسان هو نفس الإنسان».

وقال آخر: «ليست الكتابة إلّا التعبير عن طبيعة الكاتب وطابعه».

الفكر والمحتوى:

ثانياً: من حيث الفكر والمحتوى: ما طبّلت وزمّرت لقوي وغني حتّى في أيّام فقري وفاقتي، ولا أيّدت وناصرت أيّة سياسة شرقيّة أم غربيّة؛ لأنّ السياسة هوىً متّبع وخداع مقنّع، ولا انتهجت وحبّذت أيّة فكرة قديمة كالصوفيّة، أم حديثة كالوجودية والماركسية، أمّا الأحزاب في هذا العصر فقد حرّمتها على نفسي، ولا أرتضيتها لمن أُحبّ.

والمحور الذي يدور حوله قلمي هو الإنسان واستقلاله وكرامته، هو أن يتعاون جميع الناس من أجل حياة طيّبة آمنة، لا جوع فيها وأنّات، ولا قهر واستغلال، ولا تهديد وعدوان على أحد حتّى ولو كان في أبعد أطراف الدنيا، وعلى أيّ دين ومذهب.

فالإنسان هو الغاية والقيمة العظمى، وإلى إشباع حاجاته يجب أن تهدف، وأن تجمع القيم الدينيّة والاجتماعيّة، وأن يرتفع بها كلّ صوت، ويعلنها كلّ قلم، وتدعو إليها كلّ رسالة، وتقوم من أجلها الثورات والمظاهرات، وتشاد المصانع والمعاهد.. وأيّ فكرة أو حزب أو فعل يؤدّي إلى هذا الهدف فهو خير وحقّ وعدل، وإن أضرّ بمخلوق في جهة من الجهات فهو ←

← رجس وجريمة، وإن لم يكن فيه ضرر ولا نفع فهو لغو وعبث.

والإسلام الذي ارتضاه سبحانه ديناً لعباده يتّجه بجميع مبادئه وتعاليمه إلى تحقّق هذا الهدف على أكمل وجه؛ لأنّ الإسلام لا يكتفي بالإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر إلّا مع العمل بموجب هذا الإيمان وما يدخل في دلالته ولوازمه. والإيمان بلا إله إلّا الله يجرّد بدلالته البشر من حقّ السيطرة والاستغلال، ويضع الناس كلّهم على مستوى واحد في الحقوق والواجبات، ويبطل مزاعم الذين ينظرون إلى الملوّثين والمستضعفين كأداة للرفاهيّة ومصدر للربح..

أمّا الإيمان برسالة نبي الهدى فيدخل في مفهومه الأمر بالمعروف ووجوب العمل به، والنهي عن المنكر ووجوب الإعراض عنه..

ويدخل في مفهوم الإيمان بالبعث والحساب أنّ الإنسان لن يُترك سدىً ويُهمل عبثاً، وأنّه مسؤول أمام قوّة عليا، وأنّ المحسن لابدّ أن يثاب، والمسيء لن يفلت من العقاب، وأيّ فرق بين الخير والشرّ إذا استوى مصير الأخيار والأشرار؟!

هذا ما أقتنع به، وأتحمّس له، ومن وحيه وجوهره انطلق قلمي إلى كتابة: «الله والعقل»، و«الآخرة والعقل» الخ.. وإلى الغضب والثورة على القهر والاستئثار.. حتّى كتاب: «الشيعة والتشيّع»، و«مع الشيعة الإماميّة»، و«الشيعة والحاكمون»، و«الاثنا عشرية». كلّ ذلك ثورة على المفترين وأعداء الإسلام والمسلمين.

وهو سبحانه المسؤول أن يمنحني حسن الإرشاد والأمن يوم المعاد.

في سنة ١٣٨٩هـ قضيت الثلث الأوّل من شهر المحرّم في كربلاء لزيارة سيّد الشهداء عليه السلام كعادتي كلّ سنة منذ باشرت بتأليف «التفسير الكاشف». فرآني هناك طالب في العلوم الدينيّة، وبعد التحيّة قال: «يُقبل القرّاء على مؤلّفاتك بلا إعلان ودعاية ودعامة من شركة أو حزب أو دولة، بينما غيرك من الشيوخ يكتب ويطبع، ويعلن على الغلاف وغير الغلاف بضخامة الألقاب والبحر العباب، ومع هذا لا يلتفت القرّاء إلى كتابه، ولا تفسير لذلك إلّا الحظّ!».

تخيّل هذا المسكين أنّ العبرة بالكتابة والطباعة والإعلان بالألقاب. أمّا الفكر والمحتوى فما له من أثر قريب أو بعيد!

←

← ومعمّم آخر رغّب إليّ أن أضع اسمي على ما يكتب ويؤلّف!.. ولعلّ الذي دعا هذا البريء إلى هذه «التضحية العظمى» إيمانه بأنّ اسمي يحالفه الحظّ حتّى لو وضع على النقد الزائف لتحوّل إلى أصيل..

وعلى أيّة حال، فإنّ بعض الناس تأخذهم نشوة الغرور حين يمسكون بالقلم، فيسطّرون ما لا يعقلون.. وفيما مضى كان ينسب عالم مغمور إلى عالم مشهور انتقل إلى حياته الآخرة، ينسبه إلى رغبة في رواج الكتاب وإذاعته، أمّا أن يهذو هزيل باللغو، ثمّ يسأل الآخرين أن ينتحلوه، فهو من خصائص هذا العصر، عصر اللصقاء والدخلاء!

أعمل بين ١٤ ـ ١٨ ساعة يومياً:

في تشرين الأوّل من سنة ١٩٦٤ م ابتدأت بتأليف «فقه الإمام جعفر الصادق ﷺ» موسوعة كاملة من الألف إلى الياء عرضاً واستدلالاً، وانتهيت من تأليفها بحزيران من سنة ١٩٦٦م، وبلغت صفحاتها أكثر من ألفين في ستّة أجزاء، ثمّ جمعت في ثلاث مجلّدات تجليداً فنيّاً.. وإذا قدّرنا سير الصفحات بالأيّام بلغت سرعة التأليف حوالي ثلاث صفحات في اليوم الواحد.

أمّا الفضل في هذه السرعة ـ إن صحّت التسمية ـ فيعود لمواصلة السير، لا لخفّة اليد، ولا لسهولة الطريق ـ كما يظنّ ـ فلقد كنت وما زلت أعمل بين الـ١٤ والـ١٨ ساعة في اليوم والليلة، وفي بعض الأحيان تسيطر الفكرة على جميع حواسّي، وتمنعها من النوم ٣٦ ساعة، وما زلت على ذكر أنّ هذا حدث لي، وأنا أكتب عن الفضولي وأحكامه الشرعيّة، وأحلّ طلاسم الشيخ الأنصاري في مكاسبه ومطالبه.. فقلت: سبحان الله! لقد بلغ الفضولي من ثقالة الدم وكثافة الظلّ أن يمنع من النوم من يفكّر فيه، أو يكتب عنه، حتّى ولو كان الكاتب فقيهاً أو ثقيلاً!

وكنت أظنّ ـ وأنا مع فقه الإمام ـ أنّ الكتابة فيه أكثر صعوبة من الكتابة في غيره؛ لأنّ على كاتب الفقه أن يلتزم الخطّة المرسومة لا يحيد عنها قيد شعرة، وإن كان ملهماً، فإنّ إلهامه عجلة تجري عل الخطّ، أو جناحا طائر في قفص يصفّ بهما أو يدفّ، وهو في سجنه.. والخطّ المرسوم لكاتب الفقه هو كتاب الله وسنّة نبيّه.. إنّه يكتب، ما في ذلك ريب، ولكن ←

← كأداة في يد الكتاب والسنّة، لا كمؤسّس ومشرّع.
انتهيت من الموسوعة الفقهيّة بأجزائها الستّة، وباشرت بالتفسير الكاشف، وقلت: انطلق العصفور من القفص إلى الغابة يبسط جناحيه أنّى يشاء، وينشد القصائد كما يريد.. وقبل النشيد ابتدأت ببسم الله الرحمٰن الرحيم، بعد أن تعوّذت من الشيطان الرجيم. وإذا بالمفاجأة الكبرى.. فقد تحوّل ذو الجناحين إلى إنسان يسبح في بحر لا قعر لعمقه، ولا حدّ لشاطئه.. وما الفقه وغير الفقه إلّا نقطة منه. وأعجب ما في هذا العظيم المُعجز أنّ ما من آية من آياته إلّا ويستطيع الملهم أن يوصل بها معنىً من معاني الخير والفضيلة.. ذلك أنّ القرآن في جميع مقاصده يتّجه إلى المبدأ العامّ والنظرة الشاملة لكلّ الناس في كلّ زمان ومكان، وإذا تحدّث عن شيء معيّن فإنّما يحدّث عن الجهة العامّة فيه، وهذي ميزة العلم وأخصّ خصائصه، حيث يتجاهل من الموضوع ما هو خاصّ فيه، وينظر إلى ما هو عامّ ينضوي تحت لوائه جميع أفراده..
وقد حاولت أن أُطبّق آيات القرآن على حياتنا، وأربطها بأفعالنا ما استطعت.. ولست الآن بصدد الحديث عن عظمة القرآن، ولا عن فقه الإمام، وإنّما أردت بهذه الإشارة أن أُمهّد للقول: بأنّ «التفسير الكاشف» قد ملأ وقتي وعقلي وقلبي، ولم يترك فراغاً إلّا ساعة من نهار أمرّ فيها قبل الظهر بمكتبة الأرز، أنظر الصحف والجديد من الكتب، وأتسلّم ما يحمل البريد إليّ من رسائل، وهي أشكال وألوان، منها دعاء وثناء، ومنها أسئلة شرعيّة، وهذه أُجيب عنها أيّاً كانت الشواغل والعوامل، ومنها تقترح عليّ الكتابة في موضوع معيّن، وأدع هذه للظروف؛ لأنّ الله تعالى ما جعل في جوفي إلّا قلباً واحداً، ومنها يرغّب إليّ كاتباً أن أبعث إليه بمؤلّفاتي، ومصير هذه إلى سلّة المهملات إلّا إذا صحبها الثمن جنباً إلى جنب، حتّى ولو كان المرسل أخي الوحيد الفريد الشيخ أحمد!
واستناداً إلى قاعدة «الشيء بالشيء يذكر» فإنّ لي زوجة واحدة، وابناً واحداً، وبنتاً واحدة، وأخاً واحداً، وأُختاً واحدة لأُمّ واحدة.. وكلّنا نعد إلهاً واحداً ونحن له مسلمون!

هل أفرّ من نفسي:
فقد يظنّ أنّي أُريد الكتابة عن رغبة وشوق، كلّا، بل هي أرادتني، وفرضت نفسها عليّ.. ذلك ←

← أنّي منذ سنوات وبعد أن بلغت من الكبر عتياً، حاولت الفرار من القلم، وما زلت أُحاول من غير جدوىً، وهل أفرّ من نفسي؟! وربّما ولعلّ لو كان لي شاغل وسبيل غير الكتاب والكتابة، علماً بأنّي كلّما مضيت في البحث والتفكير والتأليف لاحت أمامي بارقة رشد وهدى إلى طريق العلم والمعرفة؛ ولكن: ﴿وهن العظم منّي واشتعل الرأس شيباً﴾ [سورة مريم ١٩: ٤].

الكتابة والنوم:

لا ميزان له في حياتي منذ البداية، فبعض الأيّام يستغرق ٦ ساعات، وفي بعضها الآخر دون ذلك، وقد أكتفي بـ٤، وقد أمضي ٤٨ ساعة بلا نوم، والسبب هو الموضوع الذي أكتب فيه، فإن كان صعباً حرمني النوم للتفكير الدائم، وإن كان سهلاً أستطيع النوم أكثر، وإذا أوشكت على الانتهاء من تأليف الكتاب عزّ النوم، بل يكاد يطير عنّي بلا رحمة.

أغلى أمنية:

لا أدري هل تمتدّ بي الحياة إلى النهاية، وأرى نتاج ما ضحّيت وقاسيت، وأنّ الأقدار قد تنصرف عكس ما رسمت وأوردت؟!

أسئلة لا يعلم أجوبتها إلّا صاحب الكلمة الأُولى والإرادة العليا: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [سورة لقمان ٣١: ٣٤].

وإيماني بهذه الحقيقة لا يمنعني أبداً من التصميم والمضي في الجهد والعمل الدائب؛ لأنّي أُومن أيضاً بأنّ لعزمي الجاد أثره البالغ في تحقّق ما أُريد.. ومن أجل هذا أظلّ أكتب وأكتب، وأحلم بالتمام والنجاح، حتّى الموت، فهو وحده الذي يحدّ من نشاطي، فأنا دائماً أبذل الجهد مادام الموت بعيداً عنّي!

وأغلى أُمنية على قلبي أن يفاجئني الأجل وأنا أكتب داعياً إلى الله والحقّ والعدل.. بل أسمى الرغائب لديّ أن أدخل الجنّة لأقرأ فيها وأكتب خالي البال، متحرّراً من الأشغال وهموم العيال!.. وكم مرّ بخيالي هذا السؤال ـ جاء السجع من غير قصد ـ: إذا أنعم الله عليّ بالجنّة فهل أكون فيها بطّالاً؟ وهل يتسنّى لي أن أقرأ فيها وأكتب؟ وأُجيب نفسي: أجل، إنّ فيها ما ←

يقول عن نفسه: «أُحبّ أن أقرأ كثيراً وأكتب قليلاً، بل لا أُحب أن أكتب إلّا إذا لم أجد مفرّاً من الكتابة، أي: عندما أحسّ في نفسي شيئاً لا يدعني أهدأ وأستقرّ حتّى أعلنه للناس.. إنّي أتعطّش إلى القراءة والمطالعة، وأودّ أن أشغل وقتي كلّه فيها ليل نهار»[1].

نعم، لقد كان يرى في المطالعة والكتابة شغله الأساس. في بعض الأحيان يكتفي من النوم بأربع ساعات فقط في اليوم والليلة؛ ليوفّر ساعات أكبر للقراءة والتحقيق. وربّما انهمك في الكتابة بشكل متواصل مدّة ٤٨ ساعة بلا نوم[2].

من حسن الحظّ أنّ الكثير من تأليفاته تمّ ترجمتها إلى اللغة الفارسية. والملاحظ أنّ القسم الأكبر من تأليفاته تدور حول عقائد الشيعة وحياة أهل البيت وتفسير القرآن.

ومن المميّزات البارزة التي اتّسمت بها كتبه أنّ الكثير منها جاءت في قطع جيبي وبشكل موجز. وعندما سئل الشيخ مغنيّة عن إقلاعه عن تأليف الكتب بحجم كبير وأسعار باهضة وإقباله على تأليف الكتب ذات الحجم الصغير، أجاب بأنّه في يوم من الأيّام كان يسير في أحد شوارع بيروت، فرأى شابّاً يأكل

← تلذّه الأعين وتشتهيه الأنفس، حتّى ولو اشتهت القراءة والكتابة.. ويعود السؤال، ولكن بصيغة ثانية: ولمن أكتب وأهل الجنّة كلّهم على غاية الكمال؟..
ومعذرة من هذا الاسترسال مع القلم، وعلى الأصحّ مع ذاتي في التعبير عن نفسها.. وهل أنا إلّا مجرّد إنسان يصعب عليه أن يتحرّر من ذاته وينفصل عنها؟ أو يصعب عليه أن يمنعها عن التعبير عمّا في كهوفها وقراراتها حين تجد فرصة ومنفذاً لهذا التعبير؟ (تجارب محمّد جواد مغنيّة بقلمه: ١٣٦ ـ ١٥٧).

(١) تجارب محمّد جواد مغنيّة بقلمه: ١٣٦.

(٢) الإسلام مع الحياة: ٢٧٨.

الساندويش بيد ويأخذ كتاباً بحجم صغير بيده الأُخرى ويطالع، ولو كان الكتاب بحجم كبير لما استطاع أن يستفيد منه بهذا الشكل(١).

كما كان للشيخ مغنيّة مساهمة في إكمال موسوعة «دائرة المعارف» للبستاني(٢).

يقول مغنيّة في هذا الخصوص: «رغّب إليّ الأُستاذ الكبير فؤاد أفرام البستاني رئيس الجامعة اللبنانية أن أكتب فصلاً عن أهل البيت للجزء الأوّل من دائرة معارفه الذي حوى من ثمرات العقول أقصى ما وصلت إليه المواهب والكفاءات...».

استعراض مؤلّفاته

وهنا نعرض للتعريف بتراث الشيخ مغنيّة:

١ ـ الوضع الحاضر في جبل عامل.

٢ ـ الفصول الشرعيّة على مذهب الإماميّة.

يتضمّن هذا الكتاب عدّة بحوث فقهية، من قبيل: الزواج، النساء المحارم،

---

(١) الإسلام والعقل: ١٨٥.

(٢) فؤاد أفرام البستاني: أديب باحث مؤرّخ. ولد بدير القمر بلبنان سنة ١٩٠٦ م، وتخرّج بجامعة ليون بفرنسا، وحصل على الدكتوراه من جامعة إدوارد بتكساس وعلى أُخرى من جامعة جورج تاون بواشنطن، وعيّن أُستاذاً للّغة العربيّة وتاريخ الحضارة بمعهد الآداب الشرقية ببيروت، وفي عام ١٩٥٣ م أسّس الجامعة اللبنانية، وكان أوّل رئيس لها، كما أسهم بتأسيس معهد الدراسات الشرقية بجامعة القدّيس يوسف، ودرّس فيها. أصدر مجلّتي «المكشوف والبشير»، كما أصدر سلسلة «الروائع»، وتابع إصدار «دائرة المعارف». توفّي عام ١٩٩٤ م. (شخصيات لها تاريخ: ٥٢).

مهر المرأة، أحكام النسب، النفقة، الطلاق، الإرث، الشهادات.

ويعني الكتاب ببيان وجهة نظر المذهب الشيعي في كلّ هذه البحوث.

٣ ـ أهل البيت.

قام السيّد جعفر غضبان بترجمة هذا الكتاب إلى الفارسية، وتصدّت إحدى دور النشر لطباعته ونشره لأوّل مرّة في عام ١٣٤١ هـ. ش.

كما هو الحال في سائر كتبه استفاد محمّد جواد مغنيّة في كتابه هذا من المصادر الأُمّ وعيون التراث الشيعي. حيث استفاد من ٢٦ مصدراً، بما فيها: «كشف الغمّة، بحار الأنوار، شرح نهج البلاغة»[١].

وفي موضع من الكتاب المذكور استشهد المؤلّف بالآية الرابعة والثمانين من سورة الأنعام[٢] على أنّ الإمام الحسن والإمام الحسين هما ابنا الرسول الأكرم محمّد ﷺ وذرّيته[٣]، ثمّ نقل عن الإمام الشافعي[٤] أبياتاً من قصيدته

---

(١) الكتاب الأوّل من تأليف علي بن عيسى الإربلي المتوفّى سنة ٦٩٢ هـ، والثاني من تأليف محمّد باقر المجلسي المتوفّى سنة ١١١١ هـ، والثالث من تأليف ابن أبي الحديد المدائني المعتزلي المتوفّى سنة ٦٥٦ هـ.

(٢) وهي قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلّاً هَدَيْنَا وَنُوحاً هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾.

(٣) أهل البيت (منزلتهم ومبادئهم عند المسلمين): ١٣.

(٤) أبو عبدالله محمّد بن إدريس بن العبّاس الشافعي القرشي: عالم الشافعية المشهور. ولد بغزّة ـ وقيل: بعسقلان أو اليمن ـ سنة ١٥٠ هـ، ونشأ في مكّة، ورحل إلى المدينة، فلازم مالك بن أنس. استعمله والي اليمن في أعمال كثيرة، وزار بغداد مرّتين، وحدّث بها، ثمّ خرج الى مصر واستقرّ بها إلى حين وفاته سنة ٢٠٤ هـ. سمع من: مالك بن أنس، وسفيان بن عيينة، وعبدالعزيز الماجشون، ومحمّد بن الحسن الشيباني، وغيرهم. وروى عنه: سليمان بن داود ←

المعروفة، والتي جاء فيها:

قالوا: ترفّضت قلت: كلّا ما الرفض ديني ولا اعتقادي
ولكن تولّيت غير شكّ خير إمام وخير هادي
إن كان حبّ الولي رفضاً فإنّ رفضي إلى العباد(١)

إلى جانب عرضه لتاريخ حياة أهل البيت، يستعرض المؤلّف في كتابه هذا جانباً من أخلاقهم واحتجاجاتهم ومواقفهم في مواضيع شتّى.

٤ ـ الإسلام مع الحياة.

ينقسم هذا الكتاب إلى أربعة أقسام: القسم الأوّل يُعنى بالتوحيد والمعاد وحقّ الله والعباد، وفي القسم الثاني يتعرّض المؤلّف إلى بحث جملة من القضايا الاجتماعية من منظور الإسلام، وأمّا القسم الثالث فقد خصّص لبحث الشريعة الإسلامية وخصائصها ومميّزاتها، وأمّا القسم الرابع فذكر فيه المؤلّف مواضيع شتّى ترتبط بعضها بأبناء العلماء فيما يحمل البعض الآخر منها عناوين أُخرى.

في هذا الكتاب يعرض الشيخ مغنيّة لبيان نبذة عن حياته.. يقول الشيخ مغنيّة في كتابه هذا:

«وضعت كتاباً في ثمانين صفحة على التقريب، وأسميته: (مذكّرات قاض)؛ وكنت عازماً على نشرها، ثمّ عدلت؛ لأنّي لم أجد فيها شيئاً مثيراً يسترعي الانتباه،

← الهاشمي، وابن حنبل، وأبو ثور، وإسحاق بن راهويه، وآخرون. كان فقيهاً كبيراً أديباً، وكان يكره علم الكلام. له من الكتب: الرسالة، الأمالي، مجمع الكافي، عيون المسائل، البحر المحيط، كتاب المبسوط، وغيرها. (الثقات لابن حبّان ٩: ٣٠ ـ ٣١، الأنساب للسمعاني ٣: ٣٧٨ ـ ٣٨١، طبقات الشافعية لابن هداية الله: ١ ـ ٢).

(١) نقلت الأبيات في كتاب «الشيعة في مصر»: ٢٤٥. ولاحظ ديوان الإمام الشافعي: ٧٢.

لذا لخّصت الكتاب إلى ترجمة، وآثرت نشرها هنا؛ لأنّ الكثير من الذين يقرؤون كتاباً يودّون أن يعرفوا شيئاً عن حياة المؤلّف...»[١].

٥ ـ المرأة.

٦ ـ بين الله والإنسان.

٧ ـ الله والعقل.

يُعنى هذا الكتاب بالمناقشة والردّ على الأفكار والرؤى التي طرحها الأديب الدكتور مصطفى محمود في كتابه الذي أسماه «الله والإنسان».

الكتاب ـ «الله والعقل» ـ صدر في عام ١٣٧٨ هـ، وقد تمّت ترجمته فيما بعد إلى اللغة الفارسية بقلم الكاتب علي أكبر صبا.

٨ ـ النبوّة والعقل.

٩ ـ الآخرة والعقل.

تطرّق الشيخ مغنيّة في كتابه هذا إلى استعراض الأدلّة المثبتة للمعاد، وكذلك الآثار والنتائج المترتبة على الاعتقاد به. ويمتاز الكتاب بأنّه لم يقتصر على إيراد جملة من المصطلحات الفلسفية المعقّدة والمدوّخة للقارئ، بل توافر على لغة واضحة ومفهومة وبيان سلس ومترسّل.

وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللغة الفارسية بقلم المترجم كامل خير خواه.

١٠ ـ المهدي المنتظر والعقل.

تمّت ترجمة هذا الكتاب إلى اللغة الفارسية بتوسّط كلّ من: إبراهيم وجيه دامغاني، وعزيز الله حسني أردكاني.

---

(١) الإسلام مع الحياة: ٢٧٨.

بقي أن نشير إلى أنّ كلّاً من الكتب الأخيرة: «الله والعقل، النبوّة والعقل، الآخرة والعقل، المنتظر والعقل» تمّ أخيراً إصدارها في مجلّد واحد تحت عنوان: «الإسلام والعقل».

ويسجّل الشيخ مغنيّة ملاحظة حول السرّ في صدور هذه السلسلة في كتيّبات صغيرة، فيقول: «إنّ الهدف الذي أرمي إليه من كتابتي هو أن يقرأ هذا النشء الضائع عن الدين، ويطّلع على شيء ممّا لدينا، عسى أن يهتدي واحد من مئة، فإنّ الفاصل الذي يفصلهم عنّا هو جهلهم بنا، وقد كان وما زال جهل الناس بعضهم لبعض سبباً للنزاع والصراع، فإن علموا أمكن التقرّب منهم واحتواؤهم، وأسهل الطرق لترغيبهم في القراءة المختصر المفيد الذين يستطيعون متابعته وهم في السيّارة... فاختصرت ليقرأوا وهم سائرون، تماماً كما يأكلون السندويش!»(١).

١١ ـ الفقه على المذاهب الخمسة.

١٢ ـ الحجّ على المذاهب الخمسة.

وقد تمّ طبع الكتابين في مجلّد واحد بعنوان: «الفقه على المذاهب الخمسة».

١٣ ـ الزواج والطلاق على المذاهب الخمسة.

١٤ ـ الوصايا والمواريث على المذاهب الخمسة.

في هذا الكتاب يبحث المؤلّف الإرث والوصية وعناوين أُخرى طبقاً للمذاهب الخمسة.

---

(١) راجع كتاب «الإسلام والعقل»: ١٨٥.

١٥ ـ الوقف والحجر على المذاهب الخمسة.

وقد تمّ إصدار هذه الكتب الثلاثة في مجلّد واحد تحت عنوان: «الأحوال الشخصية على المذاهب الخمسة».

١٦ ـ مفاهيم إنسانيّة في كلمات الإمام الصادق ﷺ.

في هذا الكتاب قام المؤلّف ببحث موضوعات اجتماعية مختلفة، من قبيل: السبيل إلى الكمال، ظاهرة التكدّي من وجهة نظر الإسلام، الآمال،... الخ.

الكتاب ترجم إلى اللغة الفارسية بقلم المترجم مصطفى زماني.

١٧ ـ علي والقرآن.

في مقدّمة الكتاب استشهد الشيخ مغنيّة بالآية (٦٦) من سورة النساء[١] للتأكيد على أنّ ما أورده في الكتاب لم يكن من باب العصبية للمذهب. ويقول أيضاً:

«وبعد، فهذا هو الكتاب الرابع من سلسلة «عقيدة الإسلام»، وكان العزم أن يكون موضوعه «الإمامة والعقل»، كما أعلنت في الكتب السابقة، ولكنّني قرأت في كتاب «الصواعق المحرقة» لابن حجر ـ وأنا أبحث وأُنقّب في مصادر الإمامة ـ ما قاله ابن عبّاس: «ما من آية في القرآن إلّا علي أميرها وشريفها، ولقد عاتب الله أصحاب محمّد في غير مكان وما ذكر علياً إلّا بخير»، وما قاله ابن عساكر: «ما نزل في أحد من كتاب الله تعالى ما نزل في علي، ولقد بلغت الآيات فيه ثلاث مائة»».

(١) وهي قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً﴾.

١٨ ـ فضائل الإمام علي عليه السلام.

١٩ ـ علي والفلسفة.

٢٠ ـ إمامة علي والعقل.

٢١ ـ الحسين في القرآن.

ترجم هذا الكتاب إلى اللغة الفارسية بقلم محسن بهبهاني.

٢٢ ـ دول الشيعة في التاريخ.

في هذا الكتاب يتعرّض الشيخ محمّد جواد مغنيّة إلى بيان تاريخ الحكومات الشيعية، وجملة الخصائص والأحداث التي مرّت بها كلّ واحدة من هذه الحكومات، وبالتحديد حكومة الأدارسة في المغرب، وحكومة العلويّين في الديلم، والبويهيّين في العراق، والفاطميّين في مصر، والحمدانيّين في سورية، والصفوية في إيران.

ترجم الكتاب إلى الفارسية بقلم الكاتب محمّد آية اللهي، وطبع بتاريخ ١٣٥٩ هـ. ش (١٩٨١ م) بضميمة سلسلة من المقالات للمترجم حول أمير المؤمنين وآذربايجان، بالإضافة إلى تعليقة حول موضوع الكتاب للسيّد محمّد محيط طباطبائي.

وعليه فالكتاب يقع في ثلاثة أقسام: الأوّل: مجموعة مقالات للمترجم، والقسم الثاني: ترجمة للكتاب «دول الشيعة في التاريخ»، فيما تضمّن القسم الثالث: تعليقة للسيّد محمّد محيط طباطبائي.

وأخيراً قام السيّد محمّد بحريني كاشمري بطبع الكتاب وإنزاله إلى الأسواق.

٢٣ ـ الشيعة والحاكمون.

الكتاب طبع عدّة مرّات من قبل دار ومكتبة الهلال ودار الجواد، وتجدر

الإشارة إلى أنّه طبع للمرّة الخامسة في عام ١٩٨١م.

في مقدّمة الكتاب يطرح الشيخ مغنيّة نظراً، مفاده: أنّ البعض يدّعي أنّ الشيعة تؤمن بالاستبداد على مستوى الحكم وتنظّر له.

وفي الإجابة عن هذا النظر يقرّر الشيخ محمّد جواد مغنيّة هذه الحقيقة، وهي أنّ الشيعة يشترطون في الحاكم أن يكون معصوماً عن الخطأ والزلل في علمه وعمله، أو من يرتضيه المعصوم لكفاءته العلمية والخلقية الجامعة والمانعة. ومتى فقدت هذه الكفاءة فلا يحقّ له أن يحكم باسم الله والدين، وله أن يحكم باسم الناس. هذا ما تعتقده الشيعة الإمامية، أمّا أهل المذاهب الأُخرى فإنّهم لم يشترطوا شيئاً من ذلك، بل أكثرهم يحرّم الخروج على الحاكم الفاجر الجائر[1].

يقع الكتاب في عدّة فصول، ومن جملة العناوين المبحوثة في هذه الفصول نشير إلى عدّة عناوين، منها: اختلاف المسلمين في عهد الرسول وبعد عهد الرسول، الشيعة ومعاوية في عهد الإمام علي وبعد عهده، الشيعة في عهد بني مروان، الشيعة في عهد بني العبّاس، المنصور والعلويّون.

وقد قام الأُستاذ مصطفى زماني بترجمة هذا الكتاب إلى اللغة الفارسية، وطبع مرّتين.

٢٤ ـ مع الشيعة الإماميّة.

يُعنى الكتاب بتعريف الشيعة، والردّ على الشبهات المثارة عليهم.

في معرض حديثه عن بعض الاتّهامات التي يطرحها بعض علماء الأزهر يُظهر الشيخ تأسّفه الشديد، ثمّ يكتب قائلاً: «لقد كتبنا واجبنا على افتراءات

---

(١) الشيعة والحاكمون: ٨.

المؤلّف وافتراءات غيره على الشيعة، ونشرناه في مجلّة العرفان ورسالة الإسلام.. كتبنا وتقرّبنا وتودّدنا رغبة في التفاهم ووحدة الكلمة وجمع القوى ضدّ العدوّ المشترك، ولكن أبى غيرنا إلّا الشقاق وبثّ روح التعصّب؛ لأنّ المستعمر هكذا يريد»[١].

طبع هذا الكتاب مرّتين: الأُولى عام ١٩٥٥م، والثانية عام ١٩٥٦م، من قبل دار مكتبة الأندلس.

٢٥ ـ الاثنا عشريّة وأهل البيت.

الكتاب ـ كما يفهم من عنوانه ـ يعرض لبيان تاريخ حياة أهل البيت عليهم السلام.

٢٦ ـ الشيعة والتشيّع.

في هذا الكتاب يذكر الشيخ مغنيّة المصادر الشيعية المعتبرة. فيعدّ منها: «أوائل المقالات» و«النكت الاعتقادية» للشيخ المفيد[٢]، «الشافي» للشريف

(١) مع الشيعة الإمامية: ٦٩.

(٢) أبو عبدالله محمّد بن محمّد بن النعمان الحارثي العكبري البغدادي المعروف بالشيخ المفيد وابن المعلّم: أحد أعيان علماء الإمامية وأساطينهم. ولد سنة ٣٣٦ هـ في عكبرا ببغداد، ودرس عند: أحمد الصيمري، وأحمد القمّي، وجعفر بن محمّد بن قولويه، والحسن الطبري، وهارون بن موسى التلعكبري، وآخرين. وتتلمذ على يده: الشريفان الرضي والمرتضى، وسلّار الديلمي، ومحمّد الكراجكي، وأحمد بن علي النجاشي، والشيخ الطوسي، وغيرهم. كان عالماً فقيهاً متكلّماً، أمره في الوثاقة والجلالة أشهر من أن يذكر. من جملة تصانيفه: المقنعة، الإرشاد، وقعة الجمل، الكلام في الإنسان، إيمان أبي طالب، الإفصاح في الإمامة. توفّي سنة ٤١٣ هـ، وصلّى عليه السيّد المرتضى، ودفن في مقابر قريش بالقرب من رجل الإمام الجواد عليه السلام. (رجال النجاشي: ٣٩٩ ـ ٤٠٣، الخلاصة: ٢٤٨ ـ ٢٤٩، سير أعلام النبلاء ١٧: ٣٤٤ ـ ٣٤٥).

المرتضى[1]، «العقائد» للشيخ الصدوق[2]، «شرح التجريد» و«كشف الفوائد» للعلّامة الحلّي[3]، «أصل الشيعة وأُصولها» للشيخ محمّد الحسين آل كاشف

(١) أبو القاسم علي بن الحسين بن موسى بن محمّد العلوي الموسوي البغدادي المعروف بالشريف المرتضى وعلم الهدى: من أكابر العلماء والأُدباء. ولد ببغداد سنة ٣٥٥ هـ، وتتلمذ هو وأخوه الشريف الرضي على الشيخ المفيد، وتفقّه عليه: أبو جعفر الطوسي، وأبو الصلاح الحلبي، وأبو يعلى الجعفري، وآخرون. كان كثير الرواية والسماع ثاقب الرأي حاضر الجواب غزير العلم إماماً في الكلام والأدب والفقه. تولّى إمارة الحاجّ والمظالم ونقابة العلويّين لأكثر من ثلاثين سنة. من مؤلّفاته: الانتصار، الناصريات، جمل العلم والعمل، الأمالي، تنزيه الأنبياء والأئمّة، الشافي في الإمامة، وله ديوان شعر كبير. توفّي ببغداد سنة ٤٣٦ هـ، ودفن فيها، ثمّ نقل رفاته إلى جوار مشهد الإمام الحسين عليه السلام. (المنتظم ١٥: ٢٩٤ ـ ٣٠٠، الكامل في التاريخ ٨: ٤٠، معجم الأُدباء ١٣: ١٤٦ ـ ١٥٧).

(٢) أبو جعفر محمّد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمّي نزيل الري المعروف بالشيخ الصدوق: من كبار الفقهاء والمحدّثين الشيعة. كان متكلّماً مؤرّخاً بصيراً بالرجال ناقداً للأخبار جليل القدر. ولد هو وأخوه بدعوة الإمام المهدي. أحبّ العلم منذ صباه، وطلب الحديث، فبلغ عدد مشايخه (٢٥٢) شيخاً، سمع منهم بقم والري ونيسابور وبغداد والكوفة وسمرقند وفرغانة وسرخس وفَيده. حدّث عنه: أخوه الحسين، وعلي بن محمّد الخزّاز، والحسين بن عبيدالله الغضائري، والشيخ المفيد، وآخرون. له مؤلّفات كثيرة، منها: المقنع، علل الشرائع، الخصال، الهداية، عيون أخبار الرضا، التاريخ. توفّي بالري سنة ٣٨١هـ. (مجمع الرجال ٥: ٢٦٩ ـ ٢٧٣، رياض العلماء ٥: ١١٩ ـ ١٢٢، هدية العارفين ٢: ٥٢ ـ ٥٣).

(٣) أبو منصور جمال الدين الحسن بن يوسف بن علي بن المطهّر الأسدي المعروف بالعلّامة الحلّي: من أشهر علماء الإمامية. ولد سنة ٦٤٨ هـ، ودرس عند والده، وخاله المحقّق الحلّي، ولازم الفيلسوف نصير الدين الطوسي مدّة، وبرع في العلوم، وأصبح علّامة وقته وصاحب التحقيق والتدقيق، كان آية في الذكاء واستيعاب العلوم، حسن الأخلاق. أحدثت تصانيفه ومناظراته ضجّة، كان من آثارها تشيّع السلطان محمّد خدابنده أُولجايتو وعدد من العلماء والأُمراء. تتلمذ على يده جماعة من الأعلام، كولده فخر المحقّقين، ومهنّا بن سنان الحسيني المدني، وتاج الدين محمّد بن معية الحسني، وقطب الدين الرازي، وغيرهم. له أكثر من مائة ←

الغطاء، وثمّة مصادر أُخرى.

في كتابه القيّم هذا يتصدّى الشيخ محمّد جواد مغنيّة لإثبات إمامة الإمام علي عليه السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله. وبعد أن يعدّد شروط الإمامة ومواصفاتها يرى أنّها موجودة في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام على وجه الحصر[1].

كما يبحث المؤلّف في هذا الكتاب مصطلح الشيعة من الناحية اللغوية، ثمّ يشير إلى الأحاديث الواردة في ذكر الشيعة، ثمّ يتطرّق ـ بعد ذلك ـ إلى بيان التشعّبات التي حدثت بين الشيعة، والأسباب والعوامل التي أدّت إلى ظهور هذه التشعّبات والانشقاقات. كما يعرض المؤلّف إلى بيان وجهة نظر الشيعة في خصوص كلّ من الأشاعرة والمعتزلة، ثمّ يعقد فصلاً للحديث عن الإمام المهدي الموعود، وفصلاً آخر عن دور الشيعة في تأسيس العلوم الإسلامية. وإلى جانب ذلك يتضمّن الكتاب بحوث مفيدة أُخرى.

وفي نهاية الكتاب يورد المؤلّف إحصائيات عن تعداد نفوس المسلمين والشيعة في العالم والمناطق الجغرافية التي يتواجدون فيها.

تجدر الإشارة هنا إلى أنّ العناوين الثلاثة الأخيرة: (مع الشيعة الإمامية ـ الاثنا عشرية وأهل البيت ـ الشيعة والتشيّع) قد تمّ إصدارها في مجلّد واحد تحت عنوان: «الشيعة في الميزان» من قبل دار الجواد ودار التيّار الجديد في بيروت. وفي عام ١٤٠٩ هـ صدرت الطبعة العاشرة لهذا الكتاب.

← كتاب، منها: تذكرة الفقهاء، مختلف الشيعة، إرشاد الأذهان، التبصرة، التحرير، نهج الايمان في تفسير القرآن. توفّي في الحلّة سنة ٧٢٦ هـ، ونقل جثمانه إلى النجف الأشرف، فدفن فيها. (لسان الميزان ٢: ٢٦٠ و٣١٧، جامع الرواة ١: ٢٣٠، أمل الآمل ٢: ٨١ ـ ٨٥).

(١) مع الشيعة الإماميّة: ٦٩.

الكتاب ترجم إلى اللغة الفارسية بقلم السيّد شمس الدين المرعشي تحت عنوان: «شيعة وتشيّع».

٢٧ ـ فقه الإمام جعفر الصادق عرضاً واستدلالاً.

يقع هذا الكتاب في ستّة أجزاء وثلاثة مجلّدات. وقد حاز الكتاب على جائزة قدرها ٥٠٠٠ ليرة لبنانية في عام ١٣٨٥ هـ[١].

٢٨ ـ التفسير الكاشف.

يقع هذه التفسير في سبعة مجلّدات.

وأمّا المنهج الذي نهجه المؤلّف في تفسيره هذا فيبتني على ذكر الآية أوّلاً، ثمّ يعقد المؤلّف بحثاً لغوياً في تحديد مداليل المفردات، بالإضافة إلى بيان إعراب الكلمات ومواقعها في الآية القرآنية، بعد ذلك يشرع في شرح الآية شرحاً وافياً.

وقد طبع هذا التفسير عدّة طبعات في بيروت.

ويقرّر الشيخ مغنيّة أنّ الهدف الأساس من تحرير هذا التفسير هو الاستجابة للضرورات المستجدّة التي يفرضها العالم المعاصر بما فيها متطلّبات الجيل الجديد والسعي في إقناعه. ولهذا فهو يصرّح بأنّ اللون الذي يغلب على تفسيره هو الإقناع، بمعنى: الردّ على الشبهات والإشكالات المطروحة.

وفي هذا السياق يعقد مغنيّة في مقدّمته على التفسير بحثاً في عظمة القرآن وفي ضرورات ومستجدّات العصر الحديث وتطلّعات الجيل الصاعد، وكذلك في أهداف التفسير ومنهج المفسّر، والأسباب والبواعث التي استدعته إلى كتابة تفسير جديد.

(١) تجارب محمّد جواد مغنيّة بقلمه: ١٢١.

وكما أشرنا فإنّ منهجه في التفسير هو بالنحو الآتي: يذكر أوّلاً المفردات التي يشكل معناها ويوضّحها، ثمّ يبيّن إعراب الآية والنقاط الأدبية التي تتضمّنها، ثمّ ينطرّق إلى معنى الآية ومدلولها، وفي هذا السياق يستعين بالآيات الأُخرى وبالروايات محاولاً في ذلك أن يفسّر القرآن بالقرآن وبروايات أهل البيت. وإلى جانب ذلك يعقد فصولاً في بحث موضوعات قرآنيّة، وقد تأخذ هذه البحوث والموضوعات طابعاً تاريخياً أو اعتقادياً أو أخلاقياً.

وحول الترابط بين الآيات القرآنية يرى الشيخ مغنيّة أنّه لا توجد ثمّة مناسبة وترابط بين الآيات والسور؛ إذ لا معنى لأن يكون هناك ترابط وتناسب في أجزاء كتاب استمرّ نزوله أكثر من عشرين عاماً.

صدرت الطبعة الأُولى من هذا التفسير في سبعة مجلّدات في بيروت عام ١٩٦٨م، ثمّ أُعيد طبعه عدّة مرّات من قبل الناشر نفسه.

في هذا التفسير القيّم تصدّى الكاتب لعملية نقد وتقويم لبعض الأفكار والممارسات الصادرة عن بعض طواغيت العصر، من قبيل أفكار وممارسات كلّ من لينين[1] وماركس[2] وغيرهما. وبالطبع فإنّ هذه النقطة تشكّل أحد عناصر

---

(١) فلاديمير إيليتش لينين: زعيم البروليتاريا الروسية والدولية، ومؤسّس الحزب الشيوعي للاتّحاد السوفيتي السابق والدولة السوفيتية. ولد في سيمبرسك سنة ١٨٧٠ م، ودخل كلّية الحقوق في كازان، وتخرّج من جامعة سان بطرسبرغ، ودرس الماركسية متأثّراً بأفكار ماركس وأنجلز. فأصبح ماركسياً متشدّداً. وأصدر أوّل صحيفة ماركسية (إسكرا)، ومعناها: الشرارة. من كتبه: من هم أصدقاء الشعب؟ وكيف يحاربون الديمقراطيّين الاشتراكيّين؟، الإمبريالية أعلى مراحل الرأسمالية، المادّية والتجريبية النقدية. توفّي سنة ١٩٢٤ م. (الموسوعة الفلسفية: ٤٢٢ ـ ٤٢٤، موسوعة السياسة ٥: ٦٠٣ ـ ٦٠٦).

(٢) كارل ماركس: مؤسّس الشيوعية العلمية وفلسفة المادّية الجدلية والتاريخية، ومعلّم ←

القوّة في هذا التفسير.

لكن الشيخ مغنيّة يخبرنا كيف أنّ بعضهم اعترض عليه بأنّه كيف يورد اسم لينين وماركس في تفسير الكاشف؟! ويردّ عليهم بأنّ هؤلاء لم يلتفتوا إلى أنّ القرآن الكريم بنفسه أورد اسم فرعون وهامان أكثر من مرّة(١) (*).

← البروليتاريا العالمية. ولد في تريبف سنة ١٨١٨ م. والتحق بجامعة بون ثمّ برلين، وترك الاتّجاه اليساري في فلسفة هيجل أثره على نظريات ماركس، وكان ملحداً للغاية وحتّى النخاع. من مؤلّفاته الخاصّة به والمشتركة مع أنجلز: المخطوطات الاقتصادية والفلسفية، العائلة المقدّسة، الإيديولوجيا الألمانية، أطروحات حول فيورباخ، بؤس الفلسفة. توفّي عام ١٨٨٣ م. (الموسوعة الفلسفية: ٤٣٨ ـ ٤٤٠، موسوعة السياسة ٥: ٦٣٥ ـ ٦٣٩).

(١) تجارب محمّد جواد مغنيّة بقلمه: ١٥١.

(*) ماركس ولينين وتفسير القرآن:

قيل لي: كيف ذكرت اسم ماركس ولينين في «التفسير الكاشف»؟

قلت له: إنّ الله سبحانه ذكر في المتن لا في «التفسير والشرح»!.. ذكر المشركين والكافرين، والشيطان وحزبه، وفرعون وهامان، وفوق ذلك ذكر اليهود وأنّهم قالوا: يد الله مغلولة، وإنّه فقير وهم الأغنياء!.. ذكر سبحانه ذلك في معرض الذمّ والوعيد، وأنا ذكرت ماركس ولينين والمادّيّين في معرض الردّ عليهم ودحض معتقداتهم؛ لأنّهم أنكروا فكرة الدين والعصمة ونفوها عن النبي وأهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، وقلت من جملة ما قلت: كلّ من استدلّ بقول إنسان، وجعله حجّة ودليلاً على الحقّ، فقد قال وآمن بعصمته من حيث يريد أو لا يريد، والشيوعيّون يستدلّون عى الحقّ بقول ماركس ولينين، ومعنى هذا أنّهما معصومان عند الشيوعيّين.

وفي ذات يوم جاء الي بيتي شابٌ لا أعرف من هو، ولا من أين هو، فرحّبت به، وظنّنت أنّه كأحد الشباب الذي يأتون إليّ للسؤال عمّا يعنيهم من أمر ويهمّهم من علم، وبعد أن استقرّ به الجلوس قال: «لماذا لا تردّ في كتبك على الشيوعيّين؟»، فرابني من هذا الأسلوب الذي افتتح به حديثه، وظننته مدسوساً من بعض الجهات المشبوهة.. وسألته بهوادة: لعلّك من الحزب «الفلاني»، وأسميت حزباً تكثر حوله الشكوك والتساؤلات. ثمّ قلت له: إنّ كلّ كتاب ←

٢٩ ـ التفسير المبين على هامش القرآن الكريم.

عن الهدف من وراء تأليف لهذا الكتاب كتب الشيخ محمّد جواد مغنيّة في المقدّمة: «هذا الكتاب تفسير وجيز لا نقاش فيه ولا مقارنة بين أقوال المفسّرين ولا إسرائيليات ومطوّلات؛ لأنّ الهدف منه أن يتصوّر قارئ القرآن الكريم موضوع الآية ويتمثّله ولو من بعض جوانبه»[1].

وعمدة منهج الشيخ مغنيّة في هذا التفسير أنّه بعد ذكره الآية يورد جملة من النقاط الأدبية والتاريخية والعقائدية والأخلاقية، بالإضافة إلى معلومات عامّة عن السورة والآية. وفي الموارد التي يكون سبق وإن أشار إلى إيضاحات أو

← من مؤلّفاتي هو صاعقة على الشيوعيّين والملحدين، وعلى الرأسماليّن والمستعمرين وعملائهم الخائنين.. أما قرأت ـ يا هذا ـ كتاب: «الله والعقل»، و«النبوّة والعقل»، و«الآخرة والعقل»، و«المهدي المنتظر والعقل»، و«فلسفة المبدأ والمعاد»؟ فهل الشيوعيّون والملحدون يؤمنون بالله ورسوله واليوم الآخر؟ وهل يدينون بعصمة النبي وأهل بيته وغيبة المهدي المنتظر، ويدافعون عن فكرة العصمة والغيبة، وعن الشيعة والتشيّع، ويقدّسون النجف وعلماء النجف، ويؤمنون بالقرآن ونهج البلاغة، ويلتزمون بفقه الإمام جعفر الصادق، ويتّخذون الإسلام ديناً وشريعة ومنهجاً للحياة؟!.. هذا، إلى ردّي الصريح على النظام الاقتصادي الشيوعي في كتاب: «المهدي المنتظر والعقل»، و«التفسير الكاشف»، و«شرح النهج»، و«فلسفة التوحيد والولاية»!

ولا تعجب ـ أيّها القارئ ـ من جحود هذا المريب ومن هم على شاكلته لهذه البديهيّات القاطعات. ولا أبتعد بك إلى عهد إبراهيم وموسى ومحمّد وعيسى عليهم السلام، فالآن وفي هذا العصر بالذات تعلن إسرائيل بكلّ صلافة: أنّه لا يوجد شيء اسمه فلسطين ولا شعب فلسطيني، وأنّهم مجرّد مخرّبون هدّامون!.. وفي كلّ قوم وطائفة شيطان، وإسرائيل ينكرون الحقّ ويكفرون. وعلى أيّة حال، فمن يحارب الشيطان لا يعبأ بأقواله وآرائه.. ويأبى الحقّ إلّا أن يفرض نفسه ولو كره المعاندون. (تجارب محمّد جواد مغنيّة بقلمه: ١٥١ ـ ١٥٢).

(١) التفسير المبين (المقدّمة).

ملاحظات تخصّ الآية المعنية بالبحث يرجع القارئ إلى تلك الملاحظات تجنّباً للتكرار وتوخّياً للإيجاز.

وبدوره قام الناشر بطبع النصّ الكامل للقرآن إلى جانب التفسير، وذلك إتماماً للفائدة وتعميماً لها. وقد نشر التفسير هذا بأحجام مختلفة: رحلي، ووزيري، وصغير، ونال إعجاب وإقبال كبيرين من قبل القرّاء وطلّاب المعرفة.

وفي إيران قامت دار «انتشارات بعثت» بطبعه على الأُوفست بضميمة دليل الآيات القرآنية ودعاء الإمام السجّاد عليه السلام.

٣٠ ـ من هنا وهناك.

٣١ ـ الكميت و دعبل.

لم يطبع هذا الكتاب بعد. وتجدر الإشارة إلى أنّ نبذة مختصرة عن هذا الكتاب وردت تحت عنوان «الكميت» ضمن كتاب «من هنا و هناك».

٣٢ ـ الأحكام الشرعية للمحاكم الجعفرية.

٣٣ ـ فلسفة التوحيد والولاية.

قام مركز مطبوعات دار التبليغ الإسلامي في قم بطبع هذا الكتاب.

يتضمّن الكتاب عدّة فصول، نشير هنا إلى بعض منها: فلسفة التوحيد، فلسفة الاختيار، فلسفة النبوّة، فلسفة الولاية، فلسفة المعاد.

٣٤ ـ من ذا وذاك.

٣٥ ـ تفسير الصحيفة السجّادية.

٣٦ ـ تجارب محمّد جواد مغنيّة بقلمه.

٣٧ ـ من آثار أهل البيت.

٣٨ ـ دليل الموالي للنبي وآله.

٣٩ ـ من وحي الإسلام.

٤٠ ـ إسرائيليات.

٤١ ـ نظرات في التصوّف.

ترجم إلى الفارسية بقلم محسن بهبهاني، وتمّ نشره.

٤٢ ـ معالم الفلسفة الإسلاميّة.

يتضمّن هذا الكتاب مجموعة من البحوث الفلسفية والكلامية، كما يرصد آراء ونظريات جملة من الفلاسفة والمتكلّمين المسلمين بدءً بالمذهب السوفسطائي وأثره في التراث الإسلامي والعربي، وانتهاءً بالردّ على نظرية فصل الدين عن السياسة، والتي بحثها الكاتب ضمن موضوع الإمامة.

ويعرِّف الشيخ مغنيّة بهذا الكتاب على أنّه يعالج جملة من الموضوعات المطروحة في الفلسفة الإسلامية، سواء فيما يرتبط بالإنسان أو بالطبيعة أو بما رواء الطبيعة..

الكتاب يتعرّض لبيان آراء ومتبنّيات الفلاسفة والمتكلّمين المسلمين، ويورد الأدلّة والبراهين التي ساقوها في هذا المجال بطريقة تنأى عن التطويل والتعقيد، كما يبحث العوامل التي أدّت إلى ظهور علم الكلام، والأسباب التي حملت المسلمين على قبول الفلسفة وتبنّيها، وغير ذلك من النقاط والإشارات الهامّة.

ويتعرّض المؤلّف إلى بيان الأسباب والعوامل التي أدّت إلى نشأة التصوّف بين المسلمين.

وممّا جاء في مقدّمة الكتاب: «وبعد: فقد وضعت هذا الكتاب لطلّاب الفلسفة الإسلامية، لا للفلاسفة والأساتذة الكبار، وضعته ليفهم الطالب موضوعات

هذا الفنّ ومصطلحاته، وبذلت في سبيل إفهامه أقصى ما لديّ من جهد ... وكتبت كما أتكلّم وأُحدّث، ولم أتكلّف التجويد والتزويق، وكنت إذا وجدت تعبيراً لغيري أوضح وأصرح اعتمدته من أجل التسهيل والتيسير. هذا فيما يعود إلى الأُسلوب، أمّا الفكرة فلم أعتمد في معرفتها على مستشرق أو متطفّل قديم أو حديث، بل استقيت من الينبوع والمصدر الأوّل، أمثال: الطوسي، والحلّي، والإيجي، والقوشجي، وغيرهم»(١).

قام الأُستاذ محمّد رضا عطائي بترجمة الكتاب إلى اللغة الفارسية، وتولّت طباعته دار النشر التابعة لمرقد الإمام الرضا عليه السلام. وتمّ تزويد النسخة الفارسية بفهرسة للأعلام والمصطلحات والكتب والمجلّات.

٤٣ ـ المجالس الحسينية.

يقول الشيخ مغنيّة: «لقد وجد في كلّ عصر أقطاب من الشيعة تحني الرؤوس إجلالاً لقدرهم ومقامهم، ويرتبط تاريخ العلوم بتاريخهم. ولا سرّ في ذلك إلّا مدرسة أهل البيت وهدايتهم وحكمتهم، ولولاها لم يكونوا شيئاً مذكوراً. وبالتالي، فإنّ تاريخ الإمامية في عقيدتهم وفقههم وأدبهم هو تاريخ الولاء لأهل البيت. وهذه كتبهم ومؤلّفاتهم تزخر بأقوال الرسول ومناقب الأئمّة الأطهار من أبنائه، وإنّ في هذه الصفحات ذكراً لآل الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، وقد شغلت أمداً من عمري، ولا أُعرّفها بأكثر من ذلك».

في هذا الكتاب يتصدّى المؤلّف لبيان الأسباب والعوامل التي ساهمت في تكوين حادثة عاشوراء، وفلسفة البكاء، وعقائد الشيعة في خصوص عاشوراء

(١) معالم الفلسفة الإسلامية: ٧.

والإمام الحسين.

الكتاب جدير بالمطالعة ومفيد للغاية.

وقد طبع الكتاب تحت عنوان «التضحية» أيضاً. وقام الأُستاذ فيروز حريرجي بترجمته إلى الفارسية تحت عنوان: «شيعة وعاشوراء».

٤٤ ـ مع بطلة كربلاء.

إلى جانب صدور هذا الكتاب بصورة مستقلّة صدر مع كتاب «التضحية» أو «المجالس الحسينية» في مجلّد واحد تحت عنوان: «الحسين وبطلة كربلاء».

٤٥ ـ مع علماء النجف الأشرف.

يبدأ الكتاب بترجمة لحياة الصحابيين الجليلين سلمان[١] وأبي ذرّ[٢]، ثمّ

---

(١) أبو عبدالله سلمان الفارسي، يعرف بسلمان الخير وسلمان المحمّدي: صحابي شهير جليل القدر. كان أصله من فارس من رامهرمز، وقيل: بل أصله من أصبهان. خبر إسلامه طويل تجده في المفصّلات. روى عن رسول الله ﷺ، وروى عنه: أنس بن مالك، وزيد بن صوحان، وأبو سعيد الخدري، وعبدالله بن عبّاس، وعليم الكندي، وطائفة. وردت أحاديث كثيرة بمدحه، تدلّ على فضله وعلوّ مقامه. أوّل مشاهده الخندق، وهو الذي أشار بحفره، ولم يفته ـ بعد ذلك ـ مشهد مع النبي ﷺ. كان خيّراً فاضلاً عالماً زاهداً، كما عبّر بذلك ابن عبدالبرّ. توفّي في المدائن سنة ٣٥ هـ، وقيل في سنة وفاته غير ذلك. (الاستيعاب ٢: ١٩٤ ـ ١٩٨، تهذيب الكمال ١١: ٢٤٥ ـ ٢٥٦، أعيان الشيعة ٧: ٢٧٩ ـ ٢٨٨).

(٢) أبو ذرّ جندب بن جُنَادة الغَفاري: الصحابي المشهور، أُمّه رملة بنت الوقيعة الغفارية. كان إسلامه قديماً، وقدم على النبي ﷺ المدينة بعد الخندق، وصحبه، وخرج بعد وفاة أبي بكر إلى الشام، فلم يزل بها حتّى ولّي عثمان، فاستقدمه لشكوى معاوية به، ثمّ نفاه إلى الربذة في قصّة مشهورة، فمات بها سنة ٣٢ هـ. روى عن النبي ﷺ، وروى عنه جماعة، منهم: ابن عبّاس، وابن عمر، وابن أبي ليلى. كان من أوعية العلم المبرّزين في الزهد والورع والصدق. (تاريخ ابن معين ١: ٢٢، الإكمال لابن ماكولا ٣: ٣٣٣، الجمع بين رجال الصحيحين ١: ٧٥ ـ ٧٦).

يتعرّض لبيان حياة بعض الرواة من قبيل أبان بن تغلب[1]، ثمّ ـ بعد ذلك ـ يقوم بترجمة لحياة علماء النجف الأشرف، من أمثال: صاحب الجواهر[2]، والشيخ مرتضى الأنصاري[3]، والشيخ محمّد صالح المازندراني[4]، وغيرهم من

---

(١) أبو سعيد أبان بن تغلب بن رباح البكري: أحد رواة الإمامية. كان ثقة جليل القدر عظيم المنزلة. روى عن السجّاد والباقر والصادق عليهم السلام، وصحبهم، وكانت له عندهم حظوة وقدم. وكان من وجوه القرّاء فقيهاً لغوياً محدّثاً سمع من العرب، وحكى عنهم. من كتبه: كتاب الغريب في القرآن، كتاب الفضائل، كتاب صفّين. توفّي سنة ١٤١ هـ. (رجال النجاشي: ١٠ ـ ١٣، نقد الرجال ١: ٤٠ ـ ٤١، منتهى المقال ١: ١٣٢ ـ ١٣٥).

(٢) محمّد حسن بن باقر النجفي: فقيه الإمامية الشهير وعالمهم الكبير. ولد في النجف، ودرس الدراسات العليا على: السيّد جواد العاملي، والشيخ جعفر كاشف الغطاء، وولده الشيخ موسى كاشف الغطاء، وغيرهم. وتتلمذ على يديه كثير من رجال العلم والفتيا. كان فقيهاً كبيراً، ويدلّ كتابه «جواهر الكلام» على فضله وعلمه الجمّ. من مؤلّفاته الأُخرى: نجاة العباد، هداية الناسكين، رسالة في المواريث. توفّي في النجف عام ١٢٦٦ هـ. (الكنى والألقاب ٢: ١٧٥، معارف الرجال ٢: ٢٢٥ ـ ٢٢٩، مع علماء النجف الأشرف ١: ٦٨١ ـ ٦٨٢).

(٣) مرتضى بن محمّد أمين بن مرتضى الأنصاري الدزفولي النجفي: من عباقرة الإمامية وروّاد التجديد في الفقه والأصول وزعيم الإمامية في عصره. ولد في دزفول سنة ١٢١٤ هـ، وارتحل إلى العراق مرّتين، ودرس عند: السيّد محمّد المجاهد الطباطبائي، وشرف العلماء المازندراني، والشيخ موسى بن جعفر كاشف الغطاء، وأخيه الشيخ علي كاشف الغطاء. وذاع صيته في الأوساط العلمية، وأقبل عليه العلماء، وانتهت إليه رئاسة الإمامية بعد وفاة الشيخ الجواهري، فنهض بأعبائها، وكرّس جهوده للتدريس والتأليف والإفتاء. توفّي سنة ١٢٨١ هـ. من مصنّفاته: المكاسب، الفرائد، كتاب الطهارة، كتاب الصلاة، رسالة في العدالة. (هدية العارفين ٢: ٤٢٥، أعيان الشيعة ١٠: ١١٧ ـ ١١٩، معجم رجال الفكر والأدب ١: ١٨٦ ـ ١٨٧).

(٤) أبو الفضائل حسام الدين محمّد صالح بن أحمد بن شمس الدين المازندراني: العالم ←

الأعلام.

٤٦ ـ هذه هي الوهابيّة.

نقل هذا الكتاب إلى اللغة الفارسية السيّد إبراهيم علوي، وقامت دار نشر الغدير بطهران بطباعته ونشره.

الكتاب هو في الحقيقة تقرير عن رحلته إلى الحجّ، حيث قام هناك بتأدية مناسك الحجّ، ثمّ التقى بعدد من الشخصيات الدينية والحكومية.

راح يناقش الاتّهامات والشبهات التي يكيلها الوهابيّون إلى الشيعة بروح موضوعية ومنطق صائب، وذلك من خلال الاحتكام إلى المصادر المتّفق عليها لدى كافّة المذاهب الإسلامية. وتعرّض كذلك إلى نقد الوضع القائم في المملكة السعودية.

ومن النقاط الإيجابية في هذا الكتاب كونه متضمّناً على ترجمة لحياة محمّد بن عبدالوهاب[1] مؤسّس الفرقة الوهابية. كما يتعرّض الكتاب لبيان تاريخ الأُسرة المالكة والتعريف بشخصياتها ورموزها، مع نبذة مختصرة عن حياة كلّ

← الإمامي الربّاني. ورد أصفهان، وسكن إحدى مدارسها طالباً العلم، وكابد شظف العيش، إلّا أنّ ذلك لم يعقه عن التفرّغ لدراسته وإحياء الليالي بالمطالعة، فأصبح من العلماء الأعلام. قرأ عليه الأفندي التبريزي، وروى عنه الفيض الكاشاني. صنّف كتباً، منها: شرح أُصول الكافي، شرح الفقيه، شرح معالم الأُصول، شرح زبدة الأُصول. توفّي بأصفهان سنة ١٠٨٦ هـ. (جامع الرواة ٢: ١٣١، أمل الآمل ٢: ٢٧٦، أعيان الشيعة ٧: ٣٦٩).

(١) محمّد بن عبدالوهاب بن سليمان التميمي النجدي: زعيم الوهابيّين. ولد ونشأ بنجد، وقرأ على بعض رجال المدينة، وجهر بدعوته عام ١٧٣٠ م، وتوفّي بالدرعيّة سنة ١٢٠٦ هـ. من تصانيفه: كتاب التوحيد، نصيحة المسلمين، أُصول الإيمان. (أبجد العلوم ٣: ١٥٨ ـ ١٦٠، الأعلام للزركلي ٦: ٢٥٧).

واحد من هذه الشخصيات.

ويصرّح في مكان آخر من كتابه بقوله: «ومهما يكن فإنّي تكلّمت عن عقيدة الوهابية بما هي وكما جاءت في مصادرها. . أمّا الأُسلوب الذي اعتمدته للردّ على هذه العقيدة وتفنيدها فهو نقض أقوالهم وإلزامهم بالمحاذير والمفاسد التي تترتّب عليها. وكنت أبحث وأُنقّب عن أقوالهم وأُقارن بعضها ببعض، حتّى إذا رأيتها متضاربة متناقضة أعلنت هذا التهافت وألزمتهم به. لقد حرصت كلّ الحرص على أن تكون ملاحظاتي وردودي أشبه بشباك حيكت من أقوالهم وآرائهم بالذات لا خيط فيها إلاّ منهم ولهم»[1].

٤٧ ـ من زوايا الأدب.

٤٨ ـ أُصول الإثبات في الفقه الجعفري.

٤٩ ـ صفحات لوقت الفراغ.

لا شكّ أنّ لكلّ إنسان في حياته أوقات فراغ كثيرة، ولا شكّ أيضاً أنّ الإفادة الصحيحة والمثلى من هذه الفرص تساهم في تنمية القدرات الفكرية للإنسان وهدايته إلى الطريق القويم.

من هنا كان كان الشيخ محمّد جواد مغنيّة في أوقات فراغه يستلّ قلمه ويتناول في كلّ مرّة موضوعاً ويكتب فيه مقالاً. وقد توزّعت هذه المقالات على حقول مختلفة عقائدية وكلامية واجتماعية وسياسية. وقد سنحت الفرصة فيما بعد لتخرج هذه المقالات إلى النور، وهي منتظمة في كتاب يحمل عنوان: «صفحات لوقت الفراغ»، طبع في بيروت.

---

(١) هذه هي الوهابية: ٨ ـ ٩.

٥٠ ـ علم أُصول الفقه في ثوبه الجديد.

كما هو واضح من العنوان يتناول الكتاب جملة من البحوث في علم أُصول الفقه. وقد جرى المؤلّف في كتابه على نفس المنوال الذي عليه كافّة العلماء، حيث بدأ بمباحث الألفاظ.

والملاحظ أنّ المؤلّف إلى جانب بيانه لنظريات علماء الشيعة في علم الأُصول لم يغفل بالكامل نظريات علماء السنّة، بل أشار إلى طرف منها في بعض البحوث الأُصولية.

يقع الكتاب في ٤٥٦ صفحة من القطع الوزيري.

وفي مقدّمته يحدّد مغنيّة الغاية التي لأجلها ألّف الكتاب، وهي البساطة والتيسير وتمهيد الطريق الواضح أمام الطالب والراغب، ثمّ يضيف قائلاً: «على أنّه ـ أي: الكتاب ـ يبرز أعمق الأفكار وأشدّها صعوبة، بل ويناقشها أيضاً بأسهل عبارة وأيسرها على الأفهام»[(١)].

٥١ ـ فلسفة المبدأ والمعاد.

في كتابه هذا اهتمّ المؤلّف ببحث مسألتي المبدأ والمعاد من منظور فلسفي.

٥٢ ـ الخميني والدولة الإسلاميّة.

طبع هذا الكتاب عام ١٩٧٩م في ١٨٤ صفحة من قبل دار العلم للملايين في بيروت.

الكتاب يتعرّض لبيان الآراء والمتبنّيات الفقهيّة للشيخ مغنيّة، وهي بحقّ جديرة بالدراسة والتأمّل. في هذا الكتاب يسجّل شدّة تفاعله في الدفاع عن

(١) علم أُصول الفقه في ثوبه الجديد: ٧.

الثورة الإسلامية في إيران، ويبيّن بصراحة تامّة موقفه الداعم والمؤيّد لزعيم الثورة الإسلامية في إيران الإمام الخميني ﷺ وشدّة اعتزازه به(١).

٥٣ ـ مذاهب ومصطلحات فلسفيّة.

٥٤ ـ فلسفة الأخلاق في الإسلام.

٥٥ ـ الوجوديّة والغثيان.

٥٦ ـ قيم أخلاقيّة في فقه الإمام الصادق.

٥٧ ـ المختصر الجامع في فقه جعفر الصادق.

لم يكمل الشيخ مغنيّة كتابه هذا، حيث وافاه الأجل والكتاب في طور الإعداد.

وقد طبعت كتب الشيخ أيضاً في موسوعتين: «عقليات إسلامية»، و«فلسفات إسلامية»(*).

إلى جانب هذا التراث من الكتب كانت للشيخ محمّد جواد مغنيّة مقالات عديدة في قضايا شتّى، نشرت في المجلّات والجرائد.

---

(١) محمّد جواد مغنيّة (حياته ومنهجه في التفسير): ١٤٣ ـ ١٤٤.

(*) صنّف الشيخ مغنيّة كذلك رسالة أُصولية في مجهولي التاريخ، وأُخرى نحوية بلاغية في التضمين. كما شرع بتأليف كتاب «المرآة»، وهو أشبه ما يكون بانطباعاته عمّن عرفهم من علماء وأُدباء وزعماء، صاغها نثراً وشعراً، ثمّ رأى أن يحرقه لمّا انكشف له خطأ تقييماته لبعضهم، ففعل ذلك عام ١٩٥٦م، وبذلك لم ير هذا الكتاب النور. (محمّد جواد مغنيّة.. حياته ومنهجه في التفسير: ٧٥).



الفصل السابع:

رحلة الجهاد



في مواجهة الصهيونيّة

لقد أدرك الشيخ مغنيّة في وقت مبكّر من عمره الشريف ـ وذلك بما أُوتي من عقل ودراية ومن خلال دراسته لكتاب الله العزيز وسنّة نبيّه ﷺ ـ ماهية الكيان الصهيوني الخبيثة. ولذا تجده في أغلب كتاباته التي يتحدّث فيها عن الاستكبار يتهجّم على إسرائيل أيضاً(*)، ويرى في أمريكا المدافع الأوّل عن

(*) أستشعر ـ وأنا هنا في هذا البلد الذي يقع بين أنياب الأفعىٰ ويجمع التيّارات المتناقضة المتضاربة ـ أنّ موقفي هذا يحتّم عليّ أن أكون صريحاً وجريئاً في مواجهة الحقائق، لا أُخادع، ولا أُصانع، ولا أترك كلمةً تُرضي الخالق مخافة أن تُسخط المخلوق: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّكَ إِذاً لَمِنَ ٱلظَّالِمِينَ﴾ (سورة البقرة ٢: ١٤٥).
وأعوذ بك اللّهمّ من متابعة الهوىٰ، ومخالفة الهدىٰ، وإيثار الغشّ علىٰ النصيحة، والباطل علىٰ الحقّ. واجعلني اللّهمّ مؤمناً قولاً وعملاً بشعار نبيّك ونجيّك الذي خاطبك بقوله: «إن لم يكن بك غضب عليّ فلا أبالي».
وبعد، فإنّ من فضول القول ونافلته أن نعلن بأنّ أحوج ما نحتاج إليه اليوم هو التعاون والتعاضد، والوقوف صفّاً واحداً في وجه العدوّ المشترك: الاستعمار وربيبته إسرائيل، هذه الشوكة الدامية هي وحدها السبب الأوّل لإثارة الفتن والقلاقل في كلّ بلد عربي، فما عرف العرب الهدوء والاستقرار منذ أن غرس الاستعمار هذه الشوكة في قلوبنا، ومحال أن يرضىٰ الاستعمار لنا الهدوء والاستقرار مادام علىٰ أرضنا شيء اسمه إسرائيل.
إنّ الاستعمار ليعلم حقّ العلم أنّ بقاء إسرائيل رهن بتشتيتنا وتفتيتنا، فعمل لذلك بكلّ سبيل، فهل يجوز ـ بعد هذا ـ أن نتصارع ونتنازع؟!
هل يجوز ـ بعد هذا ـ أن يكيل بعضنا لبعض التهم جزافاً وبغير حساب؟!
←

→ المؤمن المتديّن رجعي وعميل عند فئة، والناقم علىٰ الأوضاع الفاسدة فوضوي هدّام عند أُخرىٰ، والساكت المتجاهل انعزالي عند الطرفين! ولا يرضىٰ عنك لا هؤلاء، ولا هؤلاء، حتّىٰ تتّبع ملّتهم، وما أنت بتابعها، ولا هم بتابعيك، ولا بعضهم بتابع ملّة بعض...
ونصيحة لله أن لا تحاول إرضاء الناس؛ لأنّ إرضاء الناس كلّ الناس محال.. وكلّنا يعرف قصّة الشيخ العجوز، والشاب اليافع، والحمار.. إذن فاجعل شعارك قول الرسول الأعظم ﷺ: «إن لم يكن بك غضب عليّ فلا أبالي»، وقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «صانع وجهاً واحداً يكفيك الوجوه كلّها».
أمهّد بهذه الإشارة لأُعلن بأنّ الدافع علىٰ هذا الحفل قرآني إلهي بحت، يهدف إلىٰ التوجيه والتوعية الدينيّة الصحيحة الخالصة، لا شائبة فيه للسياسة، ولا لمؤازرة فئة ضدّ فئة، ولا لأيّ غرض من الأغراض الشخصيّة والغايات الحزبيّة.
وما نحن والسياسة والمسوس؟! ما نحن والأحزاب والمتحزّبون؟! نحن سفراء الله في أرضه، نستمدّ النور والهداية من زيتونة مباركة، لا شرقية ولا غربية.. نحن حزب لله وحده، لا للديمقراطيّين، ولا للاشتراكيّين، ولا لغيرهم.. نحن إلهيّون ربّانيّون نؤيّد الحقّ أينما كان ويكون امتثالاً لأمر الله وميثاقه الذي أخذه علينا: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَاقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ (سورة آل عمران ٣: ١٨٧). لا نكتمه أبداً ولو كره المشركون والمتحزّبون.
وأهمّ ما يجب علينا بيانه هنا ـ ونحن علىٰ قاب قوسين أو أدنىٰ من هذه المسمّاة بإسرائيل ـ هل هي دولة حقّاً، أو أنّها أبعد ما تكون عن معنىٰ الدولة في حقيقتها رغم الضجيج والعجيج؟
وقد أجاب الله عن هذا التساؤل قبل وجود إسرائيل بأربعة عشر قرناً علىٰ التقريب، وبيّن سبحانه في كتابه العزيز أنّ إسرائيل هذه ليست دولة بما لهذه الكلمة من معنى، وإنّما هي شرذمة من الأشرار، تجمّعوا من هناك وهنالك، وألّفوا عصابة للسلب والغصب بمساندة فئة من الناس؛ لأنّ الدولة بمعناها الصحيح هي التي تعتمد في وجودها واستمرارها علىٰ حولها وقوّتها، وثروتها وهيبتها، لا علىٰ قوّة الاستعمار وماله وسلاحه.. وكلّنا يعلم أنّ الاستعمار هو الذي أوجد إسرائيل، وأنّه مازال يظاهرها بالمال والسلاح، وأنّه لو تخلّىٰ عنها لحظة واحدة لتخطّفها العرب وتلاشت من الوجود! ومعنىٰ هذا في حقيقته وواقعه: أنّ إسرائيل ليست
←

← بدولة، وإنّما هي مظهر من مظاهر الاستعمار الغربي، وأثر من آثاره، وبقيّته الباقية في بلاد العرب.. ولكن مستحيل أن يستمرّ الاستعمار ويدوم، كما رأينا، وكما سنرىٰ... وإنّ غداً لناظره قريب.

ومن هنا كان القرآن عليماً ودقيقاً في قوله: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ﴾ (سورة آل عمران ٣: ١١٢).

إنّ الذلّة والمسكنة وحبل الناس في هذه الآية الكريمة إخبار بالغيب عمّا حصل لإسرائيل بعد نزول القرآن بمئات السنين، وإشارة واضحة صريحة إلىٰ استجداء المساعدات التي يتصدّق بها الاستعمار علىٰ إسرائيل، وأيّ ذلّ ومسكنة أعظم من العيش علىٰ التسوّل والصدقات؟!

أمّا حبل الله في هذه الآية فهو إشارة صريحة أيضاً إلى أنّ الله سبحانه قد تركنا والجهاد مع إسرائيل، ولم يردعها بقدرته القاهرة علىٰ طريقة كنْ فيكون؛ لأنّ الله جلّ وعلا قد دعا الناس إلىٰ العمل بإرادتهم واختيارهم، وأمرهم بالجهاد والتضحية لنصرة الحقّ علىٰ الباطل.. ومحال أن يكون المراد بحبل الله مساعدة اليهود ومناصرتهم، كيف! وقد وصمهم بالذلّة والمسكنة، وبغضب منه بما عصوا وكانوا يعتدون.

وأدرك الاستعمار هذه الحقيقة، وأنّ وجود إسرائيل لا يقوم علىٰ أساس من حولها وقوّتها، بل الصدقة والتسوّل، وأنّ بقاءها رهن بتشتيتنا وتفتيتنا لا بعتاد الاستعمار وصدقاته بالغةً ما بلغت. وأنّه متىٰ اتّحدت قلوبنا واجتمعت كلمتنا فلا يبقىٰ له ولا لربيبته عين ولا أثر.. أدرك الاستعمار هذه الحقيقة، وخاف أن يأتي اليوم الذي نجتمع فيه الصفوف، وهو آتٍ لا محالة، وسترون.. خاف الاستعمار من هذا اليوم، يوم الفصل والحساب، فراح يخوّفنا من الشرك والإلحاد؛ ليصرفنا عنه وعن إسرائيل، وهو المشرك الملحد الخائف من ثورتنا وقوّتنا وتوحيد كلمتنا.. خائف من السدود تقام علىٰ مياهنا، خائف من المصانع تبنىٰ في أرضنا، خائف من المعاهد تشاد لأبنائنا، خائف أن نطمئن علىٰ عيشنا وغدنا، فنثور علىٰ الظالمين والمستغلّين والمستعمرين.. إنّه يريدنا أن نستمرّ في الجهل والفقر والتمزيق والتفريق، ليستمرّ هو بدوره في استغلالنا، ونهب مقدّراتنا، واحتكار أسواقنا، وإذلالنا باحتلال فلسطين، واغتصاب أرضها، وتشريد شعبها..

←

← أيّها المسلم المحمّدي، أيّها المسيحي الوطني، أيّها الشابّ العربي، لا وطن إلّا بالوحدة الوطنية، ولا عروبة ولا قوّة بل لا حياة إلّا بالتعاون والتكاتف مع جميع القوىٰ والعناصر لدرء هذا الخطر المحدق بالجميع.

إنّ الخائف حقّاً من تجمّعنا وتعاضدنا هو الاستعمار والصهيونيّة. أمّا نحن فلنا من عظمة ديننا، وقوّة شريعتنا، ومجد تأريخنا، وإخلاص المخلصين من علمائنا، ووعي الطيّبين من شبابنا، ما يعصمنا عن الشرك والإلحاد، وعن الفلسفات الماديّة والقوانين الرجعيّة.

لقد بلي الإسلام بما بليت به سائر الأديان عبر التاريخ والعصور من الانتهازيّين والمنحرفين الذين تاجروا باسم الدين، وابتعدوا بأهله عن غاياته وأهدافه، ولكن هؤلاء تماماً كإسرائيل معروفون مفضوحون علىٰ رؤوس الأشهاد، لا قوّة لهم، ولا هيبة، ولا وجود إلّا بحبل من الاستعمار والصهيونيّة، إنّهم فقاقيع يذهبون مع الريح من أوّل نسمة تهبّ لرياح التحرّر والوطنيّة: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ﴾ (سورة الرعد ١٣: ١٧).

نحن لا نُخدع بالألفاظ، ولا يغرّنا التظاهر باسم الدين والإسلام.. نحن نعلم علم اليقين أنّ الصرخات الهستيريّة باسم الدين هي صرخات الذعر والخوف علىٰ المصير، وصيحات القلق والرعب من الثورات والتحرّكات تدكّ عروش الأدعياء، وتحطّم تيجان العملاء..

ونعلنها صريحة واضحة باسم محمّد الذي نزع التيجان عن رؤوس الملوك والجبابرة، وألقاها تحت أقدام رعاة الإبل.. نعلنها صريحة واضحة: إنّنا مع كلّ حركة مخلصة تستهدف القضاء علىٰ الاستعمار والخطر الصهيوني والتسابق إلىٰ التسلّح بأسلحة الفناء..

نحن مع كلّ حركة وطنيّة تعمل لإقامة حياة يتحرّر فيها الإنسان من الجهل والفقر والاستغلال، ويستقلّ فيها العقل والتفكير، ويشعر كلّ فرد بأنّه سيّد نفسه ومالك أمره، وأنّه في حصن حصين من حمىٰ الله وصيانته، يرتبط حقّه بحقّ خالقه، وحرمته بحرمة ربّه، إلّا إذا هو انتهك حرمة ذاته بالتعدّي علىٰ حرمة غيره، وعندها يأتي سلطان الحقّ الذي يعلو علىٰ كلّ شيء، ولا يعلو عليه شيء.

هذا هو الوجه الصحيح للإسلام، وهذا هو الطريق القويم إلىٰ جنّة الخلد.. ثورة علىٰ التأخّر والانحطاط، وكفاح من أجل التطوّر والتقدّم، وحرب علىٰ الجهل والاستبداد، لا عمّة ولحية، ←

← ولا دروشة ومسكنة، ولا تبعيّة وعمالة، ولا تحزّب وتعصّب، بل ولا احتفالات جامعة وخطب طنّانة، إلّا أن تكون عواصف وقواصف تنزل علىٰ رؤوس الخائنين والمضلّلين!

هذا هو الوجه الصحيح للإسلام، أمّا الوجه الآخر الذي نرفضه نحن وأنتم أيّها الشباب، والذي بعكس التخلّف والرجعيّة والخيانة باسم الأخلاق الإسلاميّة واسم التكتّلات الدينيّة لأهداف شيطانيّة، أمّا هذا الوجه فما هو من الإسلام في شيء، ولا الإسلام منه في شيء.. إنّه تحايل الأوغاد، ونفاق أهل الفساد!

فإذا كنتم ـ أيّها الشباب ـ من ذوي الأدمغة الواعية والعزيمة الصادقة فتعالوا إلى كلمةٍ سواءٍ بيننا وبينكم أن نعمل جاهدين علىٰ حلّ مشاكلنا، تعالوا نضرب يداً بيد، ونمشي جنباً إلى جنب للوصول إلى مصلحة الجميع، تعالوا لا خلاف بيننا وبينكم إذا كانت الأهداف شريفة نبيلة، وإنّما الخلاف بين المستغلّين والمنتفعين بعضهم مع بعض، لا بين دعاة الصلاح والإصلاح وأصحاب الفكرة النيّرة والرسالة الخيّرة.

أنا لا أصدّق أبداً أنّ الشباب الواعي هو ضدّ الدين والاحتفالات الدينيّة، كيف! ودين محمّد هو دين الحياة والإنسانية، ولولاه لما بزغت شمس العدالة والحرّية علىٰ هذا الوجود، وما حاربه أحد من عهده الأوّل إلىٰ هذا اليوم إلّا جاهل أو لصّ يعيش علىٰ حساب الكادحين والمستضعفين.

نحن وأنتم ـ أيّها الشباب ـ ضدّ المنحرفين عن الدين وأهدافه، الذين تاجرون باسمه وشعاره المقدّس.. ولكن عليكم ـ قبل أن تتّهموا أحداً بالانحراف ـ أن تجرّبوا وتميّزوا بين من يصلّي علىٰ الميّت نهاراً ويسرق كفنه ليلاً، وبين من يستهين بالموت في سبيل الحقّ والعدالة.. عليكم أن تستروحوا وتستوحوا من سيرة محمّد ﷺ أنّ المخلص لدينه ووطنه هو الأمين العفيف عن المحرّمات والموبقات، والمكافح المعاند لأهل الضلال والفساد، والحليم الذي يتّسع صدره وقلبه للجميع، حتّىٰ لخصومه وأعدائه. فلقد جيّشت قريش الجيوش لحرب الرسول الأعظم حين دخل مكّة، والمبدأ فوق الشخصيّات والحزازات، علىٰ العكس من المنحرفين والانتهازيّين، فإنّهم إذا ظفروا نكلوا وغدروا، كما فعلت أُميّة، وكما يفعل كلّ خسيس لئيم لا دين له ولا مبدأ، ولا شيء سوىٰ حقده وأنانيته.

وبعد، فلا أدري كيف يكون المرء داعية صلاح وإصلاح، ولسانه لا يفتر عن التهم والافتراء، ←

هذا الكيان المجرم، بل يعدّه صنيعته.

وهنا نشير إلى مقاطع ممّا كتبه الشيخ مغنيّة عن خصوص الاستكبار والكيان الصهيوني:

«**إله إسرائيل صهيوني**: الحديث عن الفلسفة اليهودية والعنصرية الصهيونية يتّسع لأكثر من مجلّد... ونكتفي هنا بكلمة موجزة عن إله إسرائيل وحقيقته ومهمّته كما هو في الديانة اليهودية... وتورد التوراة فيما تورد عن هذا الامتياز في سفر يشوع / الإصحاح: ٦ / فقرة: ٢٤ خطاباً مع بني إسرائيل: «احرقوا المدينة مع كلّ ما بها.. إنّما الفضّة والذهب وآنية النحاس والحديد اجعلوها في خزانة بيت الربّ». وفي سفر التثنية / الإصحاح: ١٤: «قد اختارك الربّ كي تكوّن له شعباً خاصّاً فوق الشعوب على وجه الأرض». وفي سفر العدد / الإصحاح: ٣١ / الفقرة: ١٢: «خذوا كلّ الغنيمة وكلّ النهب من الناس والبهائم». وفوق ذلك أنّ الله تصارع مع يعقوب بالليل بطوله، فعجز عنه بل عجز عن التخلّص والفرار منه! وبالتالي لم يجد الربّ بدّاً من الرجاء والتوسّل إلى يعقوب كي يمنّ عليه بالإطلاق... فقال له يعقوب: «لا أُطلقك إن لم تباركني»! فباركه الربّ وسمّاه إسرائيل. ومعنى إسرائيل في العبرية: القوّة ضدّ الله، كما نقل العرّافون بهذه اللغة. تشير هذه الفلسفة أو هذه الخرافة إلى أنّ اليهودي لا غالب له، حتّى الله يعجز عنه! وقد جاء هذا المعنى في القرآن الكريم بنصّ بيّن واضح في الآية (٦٤) من سورة المائدة: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا

← وقلبه يتفجّر بالحقد والبغضاء، وفرجه يتلوّث بالدعارة والفجور، وبطنه تمتلأ بالحرام والخمور؟! اللهمّ، إلّا أن يكون يزيد بن معاوية داعية إصلاح، وقسطاس عدل.. (تجارب محمّد جواد مغنيّة بقلمه: ٤٦٨ ـ ٤٧٤).

قَالُواْ﴾»[1].

وفي نصٍ آخر يكشف الشيخ مغنيّة عن الوجه الحقيقي لليهود وما ينطوون عليه من عنصرية مقيتة، حيث يقول: «لليهود ـ بوجه العموم ـ عقيدة عنصرية تعتبر أنّهم شعب الله المختار، وأنّ غيرهم من الناس مسخّر لخدمتهم ومصالحهم، وأنّ لليهودي كلّ الحقّ في أن يمتلك أيّ إنسان في الشرق والغرب، ويفعل به ما يشاء، تماماً كما يمتلك الحيوان.. وعلى هذا نصّت التوراة بوضوح وصراحة في سفر التثنية / الإصحاح: ٧، وسفر العدد / الإصحاح: ٣١. أمّا كتاب التلمود فيقول: «نحن شعب الله المختار نحتاج إلى نوعين من الحيوان: نوع أعجم كالدوابّ والنعام والطير، ونوع الحيوان الإنساني، وهم سائر الأُمم من الشرق والغرب»[2].

وفي مقال له آخر يلقي الشيخ مغنيّة باللوم الشديد على المسلمين؛ لضعفهم وعجزهم تجاه إسرائيل وعنجهيتها، على كثرة عددهم وامتلاكهم لثروات هائلة ومصادر ضخمة بما فيها النفط، حيث يقول: «كلّ هذه القدرات والإمكانات متوفّرة لدى المسلمين، ولا أثر للمسلمين على أيّ مستوى يذكر! اللهمّ، إلّا مؤتمرات وصرخات لا شي وراءها إلّا الشماتة والفضيحة! وأيّ عار على العرب والمسلمين أشدّ وأعظم من هوانهم على إسرائيل؟! أبداً كلّما عقدوا مؤتمراً تمادت إسرائيل في الغي والتوسّع، وكلّما رفعوا صوتاً استهانت بهم وبكلّ حقّ وشرعية، ولا سرّ إلّا الأوضاع الفاسدة السائدة».

(١) تجارب محمّد جواد مغنيّة بقلمه: ٤١٧ ـ ٤١٨.

(٢) نفس المصدر: ٤٢٨.

في مواجهة أمريكا

لقد كان للنهج الجهادي الذي اختطّه الشيخ مغنيّة ضدّ أمريكا بالغ الأثر لدى عموم الناس بدرجة أنّه أثار حفيظة الأمريكان، وحمل السفارة الأمريكية على أن ترسل له التهديدات وتحذّره من مغبّة تلك المواقف البطولية ضدّها، حتّى أنّهم طلبوا منه أن يلتقي روزفلت[١]، فقال لمن طلب منه ذلك بالحرف الواحد: «اسمع يا هذا، إنّ أميركا ألدّ عدوّة للإسلام والأُمّة العربية، أميركا أوجدت إسرائيل، وقتلت شعبنا في فلسطين، وشرّدته من دياره. إنّ دماء أبنائنا ما زالت تنزف في دير ياسين وعلى أرض فلسطين، وأُخوتنا يقتلون بسلاح أميركا الذي تغدقه على إسرائيل... وبعد هذا تدعوني إلى زيارة الأُسطول السادس!»[٢].

وقد كان لهذا الموقف الشجاع والغيور صدى كبير بين الأوساط الشعبية، حتّى أنّ صحيفة «المحرّر» مجّدت موقفه هذا بأن وصفت الشيخ بقولها: «هذا عربي عزيز»[٣].

---

(١) فرنكلين هايدبارك سبرينغ روزفلت: رجل دولة أمريكي، ورئيس الولايات المتّحدة الأمريكية عام ١٩٣٢ م، وقد تولّى هذا المنصب للمرّة الثالثة، وانتخب للمرّة الرابعة، إلّا أنّه مات قبل أن يكملها سنة ١٩٤٥ م بسبب الإرهاق الشديد. كانت سياسته انفتاحية، وعمل على إنشاء منظّمة الأُمم المتّحدة التي عقدت دورتها الأُولى عام ١٩٤٥ م. (موسوعة السياسة ٢: ٨٤٣).

(٢) تجارب محمّد جواد مغنيّة بقلمه: ٤٠٠.

(٣) المصدر السابق: ٤٠٠.

الشيخ مغنيّة يطالب العلماء بالكفاح

انطلاقاً من وعيه للدور الكبير الذي يمكن أن يقوم به العلماء فيما إذا واكبوا حركة الكفاح ضدّ الاستكبار، راح الشيخ مغنيّة يستصرخهم ويستنجد بهم للوقوف بوجه أمريكا والاستكبار العالمي، طالباً منهم أن يبيّنوا للناس موقف الإسلام الحقيقي فيما يرتبط بمكافحة الاستعمار.

في هذا الصدد يكتب مغنيّة قائلاً: «حين وقعت الحرب الرابعة وأشارت كلّ الدلائل إلى هزيمة إسرائيل، طار الصواب من رأس أميركا وجنّ جنونها وتحوّلت بطائراتها إلى جسر هوائي من أحدث الأسلحة بينها وبين تلّ أبيب، فغضب العرب غضبة جماعية وقطعوا النفط عن أميركا... فسجدنا لله شكراً... ولكن بعد أن تضاعفت أسعار النفط وتكدّست أثمانه بالمليارات، حملها العرب بالكامل إلى أميركا ومصارفها!... وكلّنا نعلم أنّ قوّة أميركا وإسرائيل هي قوّة سلطان البغي والجور في شرق الأرض وغربها. وهل أدلّ على ذلك ممّا حدث ويحدث من ظلم ومظالم في فيتنام، وروديسيا، وجنوب أفريقيا، والمستعمرات البرتغالية، وغيرها كثير؟! وهكذا أصبح المال العربي ـ من حيث لا يريد أهله وأصحابه ـ سلاحاً يعتدى به على العرب أنفسهم وعلى كلّ شعب مستضعف في أرض الله وبلاده»[(١)].

وفي مقطع آخر يوجّه الشيخ نقده لبعض العلماء بسبب عدم تواصلهم مع حركة الكفاح ضدّ الاستكبار حيث يقول: «والذي حزّ في نفسي أنّ الشيوخ ما صمّوا الآذان عن ندائي لأنّه خطأ واشتباه، كيف وقد درسوا في الفقه الإسلامي أنّ

(١) المصدر السابق: ٤٣١.

بيع السلاح للعدوّ حرام محرّم وعلى حدّ الشرك بالله؟!... ولولا المال العربي وتصديره إلى أميركا ما غرقت إسرائيل بالمساعدات المالية والعسكرية»[١].

وكان الشيخ يثني كثيراً على الشخصيات التي ناضلت ضدّ الاستكبار والاستبداد، ويبدي حماسه وولاءه الشديد لها. ولذا تجده يؤبّن شخصية السيّد جمال الدين الحسيني[٢]، ويظهر اعتزازه بها قائلاً: «رحم الله السيّد جمال الدين الأفغاني، فقد كان بعيد النظر عالماً بالخفايا والأسرار ناصحاً للإسلام والمسلمين، حيث ركّز جهده واهتمامه على انتزاع الشواهد من تاريخ المسلمين والآيات القرآنية والأحاديث النبوية لمحاربة الاستعمار والنفوذ الأُوروبي في الشرق. أدرك هذا العظيم بثاقب بصيرته أنّ الاعتداء الأجنبي هو السبب الوحيد لضعف العرب والمسلمين، فكافحه أشدّ كفاح، وكان سلاحه كتاب الإسلام وتاريخ المسلمين، فإذا تكلّم عن الشعب والدستور والحاكم والمحكوم رجع إلى القرآن وجهاد الماضين»[٣].

---

(١) نفس المصدر: ٤٣٢.

(٢) جمال الدين محمّد بن صفدر الحسيني الأفغاني: أحد أبرز رجال النهضة والإصلاح في العصر الحديث. ولد في أسد آباد سنة ١٢٥٤ هـ، ونشأ بكابل، وتلقّى العلوم، فبرع فيها. سافر إلى مناطق عديدة لطلب ونشر الإصلاح، وأنشأ مع تلميذه محمّد عبده جريدة «العروة الوثقى» في باريس. كان عارفاً باللغات: العربيّة، والفارسيّة، والتركيّة، والبشتو، والسنكريتيّة، وتعلّم: الإنجليزيّة، والفرنسيّة، والروسيّة. كان كريم الأخلاق كبير العقل، وله عدّة مصنّفات، منها: تاريخ الأفغان، رسالة الردّ على الدهريّين. دسّ له السمّ في الآستانة، فقضى بها سنة ١٣١٥ هـ ، ونقل رفاته إلى أفغانستان سنة ١٣٦٣ هـ. (دائرة المعارف الإسلامية ٧: ٩٥ ـ ١٠١، الأعلام للزركلي ٦: ١٦٨ ـ ١٦٩، الجامع في تاريخ الأدب العربي الحديث: ٧٧ ـ ٨١).

(٣) الإسلام مع الحياة: ٧.

وأمّا عن الشهيد مرتضى مطهّري فيكتب قائلاً: «هو خطيب كبير من خطباء المنبر الحسيني الذي يغرس في نفوس الجماهير روح التضحية والإباء، ويفجّر الثورات ضدّ البغي والعدوان»[1].

(١) صفحات لوقت الفراغ: ١٤٩.



الفصل الثامن:

أفكاره وآراؤه



مجتهد مجدّد

منذ باكورة حياته والشيخ مغنيّة يحمل بين جنبات صدره شوق جارف للفقه والاجتهاد.. ولذا يكتب في مذكراته قائلاً: «كنت ـ وأنا طالب في النجف ـ أطمح أن أكون عالماً مجتهداً يلبس ثوب العلم والدين باستحقاق وجدارة.. وما خطرت المرجعية والرئاسة في بالي على الإطلاق».

وكان إذا سأله أحدهم: هل أنت مرجع؟ أجابه: «كيف تأتيني المرجعية وأنا لا أقبل الأموال ولا أُوزّعها؟! ألا تراني بلا حاشية وأتباع؟!»(١).

لم يحصل الشيخ محمّد جواد مغنيّة على درجة الاجتهاد بسهولة، فقدرته على الاستنباط لم تكن نتيجة الإحدى عشر سنة التي قضاها في النجف، بل كان طوال حياته قد أنس بمباحث الفقه والأُصول..

يقول هو: «بقيت مكبّاً ٢٢ سنة من ١٩٣٦ إلى ١٩٥٨ ملازماً كتب الفقه والأُصول ليل نهار مطالعة وكتابة»(٢).

وكانت مصادره في الأُصول هي: رسائل الشيخ الأنصاري، وكتاب «الكفاية» للآخوند الخراساني، وتقريرات المرحوم النائيني. أمّا في الفقه فكان يرجع إلى «الجواهر، والمسالك، والحدائق، ومفتاح الكرامة، وملحقات العروة،

---

(١) تجارب محمّد جواد مغنيّة بقلمه: ٤٧.

(٢) محمّد جواد مغنيّة (حياته ومنهجه في التفسير): ١١٩.

والمستمسك»[١]، وغير ذلك من الكتب.

لقد آلى على نفسه منذ أن بدأ مشواره في تحصيل العلوم الدينية أن يجدّ في إتقانه لفهم الدروس ولا يغيب عن الدروس حتّى لثانية واحدة؛ لأنّها إذا ذهبت فلن تعود أبداً[٢].

كان يرى في الحياة أنّها في تجدّد؛ إذ من الواضح أنّ إحدى خصائص الحياة والزمن هو التجدّد والتبدّل.

وأمّا الإسلام فيرى فيه مغنيّة أنّه يقبل ببعض القضايا العصرية ويرفض البعض الآخر. ومن هنا جاءت كتبه وتأليفاته صريحة واضحة.

يكتب الشهيد السيد محمّد باقر الصدر[٣] عن الشيخ مغنيّة قائلاً: «كانت

---

(١) الكتاب الأوّل ـ أي: الجواهر ـ من تأليف الشيخ محمّد حسن النجفي المتوفّى سنة ١٢٦٦ هـ، والثاني من تأليف الشهيد الثاني المتوفّى سنة ٩٦٥ هـ، والثالث من تأليف الشيخ يوسف البحراني المتوفّى سنة ١١٨٦ هـ، والرابع من تأليف السيّد محمّد جواد العاملي المتوفّى سنة ١٢٢٦ هـ، والخامس من تأليف السيّد محمّد كاظم اليزدي المتوفّى سنة ١٣٣٧ هـ، والسادس من تأليف السيّد محسن الحكيم المتوفّى سنة ١٣٩٠ هـ.

(٢) محمّد جواد مغنيّة (حياته ومنهجه في التفسير): ١٢٠.

(٣) محمّد باقر بن حيدر بن إسماعيل الموسوي الكاظمي المعروف بالصدر الأوّل أو بالشهيد الرابع: كان فقيهاً إمامياً كبيراً وأُصولياً بارعاً وفيلسوفاً رائداً ومفكّراً عملاقاً. ولد في الكاظمية ١٣٥٣ هـ، وانتقل إلى النجف، وحضر الأبحاث العالية على: خاله الشيخ محمّد رضا آل ياسين، والسيّد الخوئي، وأكبّ على المطالعة بنفسه معتمداً على فهمه الحادّ وذكائه الخارق، وكان حريصاً على المصالح العامّة راسخ الإيمان ذا عاطفة جيّاشة وشجاعة نادرة، ويعدّ الفاتح لميدان الدراسات الاستقرائية في دائرة الفكر الإسلامي والمكتشف للأُسس العامّة للمذهب الاقتصادي في الإسلام والمجدّد لعلم الأُصول. أعدمته السلطة البعثية مع أُخته العالمة آمنة الصدر سنة ١٤٠٠ هـ. ترك الشهيد الصدر مؤلّفات عديدة، منها: بحوث في شرح ←

هذه هي المرّة الأُولى التي قرأت فيها ذلك، عن عنصر الفهم الاجتماعي للنصّ، حين قرأت بعض أجزاء الكتاب المجدّد الخالد (فقه الإمام الصادق) الذي وضعه شيخنا الحجّة الكبير الشيخ محمّد جواد مغنيّة، الذي حصّل الفقه الجعفري على يده في هذا الكتاب البديع على صورة رائعة في الأُسلوب والتعبير والبيان»[١].

ضرورة إصلاح الحوزة

في مقال حمل عنوان «معركة في الأزهر بين المجدّدين والمحافظين»، نشرته مجلّة «العرفان» عام ١٩٥٤م، أبدى الشيخ محمّد جواد مغنيّة عن ارتياحه وسروره لروح الإصلاح والتجديد التي انبثقت في جامعة الأزهر مطالباً أن تبدأ الحوزات العلمية الشيعية مسار الإصلاح والتجديد هي الأُخرى[*].

← العروة الوثقى، البنك اللاربوي في الإسلام، المعالم الجديدة في الأُصول، فلسفتنا، اقتصادنا، الأُسس المنطقية للاستقراء، الإسلام يقود الحياة، فدك في التاريخ. (معجم رجال الفكر والأدب ٢: ٨٠٩ ـ ٨١١، مع علماء النجف الأشرف ٢: ٥٤٨ ـ ٥٥٣، موسوعة طبقات الفقهاء ١٤: ٦٠٦ ـ ٦٠٩).

(١) محمّد جواد مغنيّة (حياته ومنهجه في التفسير): ١٥٠.

(*) ينطلق الشيخ مغنيّة من رؤية تكاد موضع إجماع رادة الفكر الإصطلاحي الحوزوي، تتمثّل بما تعانيه الحوزات من خلل في مناهج الدراسة على معظم الأصعدة.
لذلك تراه في الجانب النقدي يذمّ الحشو والتطويل دون موجب، وينبذ لغة التعالم التي يتوسّل بها بعض العلماء لإبراز قدراته العلميّة على حساب تعقيد اللغة وملئها بالألغاز والمصطلحات، ومن ثمّ حرمان القارئ من الكتاب.
في حين دعا في الجانب الايجابي إلى كتابة مناهج جديدة توفّر للفكر العميق أُسلوب عرض ميسّر، يعين الطالب الحوزوي من جهة، وييسّر للمثقف والمتعلّم الجامعي والشابّ الطموح من جهة أُخرى فرصة الإلمام بالكنوز المعرفيّة للحوزات على صعيد الأُصول ←

← والفقه، والعقائد والفلسفة والكلام، والتفسير، وغير ذلك.

فيما يلي نشير بنقاط سريعة إلى أبرز المشاريع التي ساهم بوضعها مغنيّة على صعيد تيسير المناهج الدراسيّة وتجديدها في المنهجيّة واللغة وأسلوب العرض:

الفقه:

١ـ من بين أُلوف المصادر الفقهيّة التي تملأ النفس روعة والقلب إعجاباً، ليس لهذه الكتب من التأثير والشأن حتّى بنسبة واحدٍ من مليون بالقياس إلى قيمتها الفكريّة، نظراً لغرابة لغتها والتعقيد الذي تتّسم به.

لذلك بادر الشيخ الجليل لوضع عدد من المحاولات الميسّرة، منها: «الأحوال الشخصيّة على المذاهب الخمسة». ثمّ عاد ليعالج الموضوع ذاته من خلال فقه أهل البيت، فأصدر كتاب: «الفصول الشرعيّة على مذهب الشيعة الإماميّة»، والرائع في هذا الكتاب هو تقسيمه إلى موادّ موزّعة على فصول.. فبدلاً من المسائل وزّع الأحكام الفقهيّة على موادّ تنتظمها فصول تشير إلى عناوين الأحوال الشخصيّة، أخذاً بأسلوب الحقوقيّين. ثمّ بلغ إنجاز مغنيّة في تيسير المناهج الفقهيّة ذروته مع إصدار موسوعته: «فقه الإمام جعفر الصادق» في ستّة أجزاء، حيث بدأ بتأليفها في تشرين الأوّل عام ١٩٦٤ م، وانتهى منها في حزيران عام ١٩٦٦ م، وقد تكرّر طبعها مراراً، واتّخذت منهجاً دراسياً في بعض معاهد العلم الديني في حوزة قم، بالإضافة لتحوّلها إلى مصدر في التثقيف الفقهي لغير الحوزويّين من باحثين ومثقّفين ومتعلّمين.

الأُصول:

٢ـ في الجانب الأُصولي قدّم الشيخ مغنيّة دورة أُصوليّة كاملة في كتابه الرائد: «علم أُصول الفقه في ثوبه الجديد» في اتّجاه موازٍ لما فعله في الفقه، بالأخصّ: «فقه الإمام جعفر الصادق»، حيث كان هدفه هنا كهدفه هناك، وهو البساطة والتيسير، وتمهيد الطريق الواضح أمام الطالب والراغب، لا الظهور والإظهار بالتبحّر والتعمّق.

←

ويدعو الشيخ مغنيّة إلى ضرورة صبّ الفقه في أُسلوب وقالب جديد سهل وبعيد عن لغة التعقيد.

كان ينظر إلى المؤسّسات الدينية الشيعية منها والسنّية نظرة بعيدة عن التطرّف والعصبية، وأمّا نظرته إلى أعداء الإسلام فإنّه كان يقسّمهم إلى: أعداء في الداخل، وأعداء في الخارج.

← الفلسفة:

٣ـ أمّا في الفلسفة فقد قدّم تجربة على المنهج التيسيري ذاته عبر كتابه: «معالم الفلسفة الإسلاميّة»، إذ قال في المقدّمة: «وضعت هذا الكتاب لطلّاب الفلسفة الإسلاميّة، لا للفلاسفة والأساتذة الكبار، وضعته ليفهم الطالب موضوعات هذا الفنّ ومصطلحاته». وقد قام بتدريسه في الجامعة اللبنانيّة، فلقيت المحاولة أصداءً إيجابيّة.

كما قام في كتاب آخر، هو: «فلسفة المبدأ والمعاد» بعرض أفكار صدر الدين الشيرازي بخاصّة كتابه: «المبدأ والمعاد».

وفي المجال التيسيري ذاته قدّم كتابه: «نظرات في التصوّف»، و«علي والفلسفة».

الكلام والعقائد:

٤ـ وفي الكلام والعقائد قدّم عدداً مهمّاً من الكتب على المنهج ذاته، منها: «الله والعقل»، «شبهات الملحدين والإجابة عنها»، «النبوّة والعقل»، «الآخرة والعقل»، «إمامة علي بين العقل والقرآن»، «المهدي المنتظر والعقل»، «بين الله والإنسان».

اقترح مغنيّة في المجال نفسه خطّة عمل يُصار فيها ابتعاث آثار رادة كبار من رموز السلف، كالمفيد والمرتضى والحلّي والطوسي، بلغة معاصرة تنتبه إلى الشبهات المستجدة وما يثار في الساحة حاضراً، على أن تتولّى العمل لجنة متفرّغة من الأكفّاء؛ لتقطع الطريق على غير المؤهّلين.

لقد أكّد ضرورة تفرّغ ما لا يقل عن عشرين عالماً وباحثاً للكتابة في المجال العقيدي، منبّهاً على ضرورة أن يتوفّر هؤلاء على مؤهّلات تنسجم مع هذا اللون من الفكر، حيث لا يكفي الفقه والأُصول في هذا الضرب من التأليف. (محمّد جواد مغنيّة.. حياته ومنهجه في التفسير: ١٥٢ ـ ١٥٥).

والملاحظ أنّ الكتب الحوزوية وللأسف الشديد ذات بعد واحد، حيث لا تحظى الملاحظات العلمية الموجودة في المجتمع باهتمام الحوزة والحوزويّين. من هنا كان الشيخ مغنيّة يقف موقف الناقد إزاء هذا الوضع الموجود، حيث يرى أنّ طلبة العلوم الدينية لابدّ وأن يطّلعوا على علوم العصر.

ويسجّل انطباعاته عن الحوزة قائلاً: «ومن خصائص النجف أنّها لا تعرف الجديد، بل لا تريد أن تتعرّف عليه!»[١].

ويقول أيضاً: «والشيء الذي لا عذر فيه لمدرسة النجف وقم هو ميلها إلى العزلة ووقوفها على الحياد من الأحداث العالمية، ما سمع لها صوت مع ثورة الجزائر، ولا ضدّ الحروب الاستعمارية وضدّ التفرقة... ولا ضدّ السلاح الذرّي وتحريمه!»[٢].

وبعد أن يسجّل ملاحظاته التي أوردناها توّاً، يتحدّث عن الأسباب والعوامل التي أدّت إلى مثل هذه الظاهرة. وفي نفس الوقت فهو يقرّ سلفاً بأنّ النجف وقم تضمّ علماءً كباراً بذلوا جهوداً عظيمة، ولهم إنجازاتهم الكبيرة. وطبعاً فإنّ جهودهم تلك لا تقلّ عن الجهود التي بذلها المخترعون وعلماء علم الطبيعة.

يرى الشيخ مغنيّة أنّ السبب الذي يقف وراء الفشل الذي منيت به الحوزة على هذا الصعيد يكمن في الطابع العقلي المحض للدروس الحوزوية. فالبحوث المطروحة على مستوى النظرية تجدها فاشلة على الصعيد العملي والتطبيقي وفي مجال حلّ مشاكل الحياة وتعقيدات الواقع.

(١) تجارب محمّد جواد مغنيّة بقلمه: ٧١.
(٢) المصدر السابق: ٦٦.

وينقل الشيخ أنّ بعض الأساتذة يفسد عقل التلميذ بأساطير ما أنزل الله بها من سلطان، ويصرفه من غير قصد عن الحياة ومشكلاتها كالاستعمار والظلم الاجتماعي والتفرقة والعنصرية، ويستغرب كيف أنّ الكثير منهم أمضى عشرات السنين في دراسة الفقه وتدريسه، ومع هذا لم يسمع باسم السنهوري[1]، فضلاً عن قراءة شيء من كتبه.

ويكتب قائلاً: «وشيخ صادفني ذات يوم وفي يدي مجموعة من المجلاّت والجرائد، فتعجّب وقال: حرام عليك شراؤها، وكان الأولى أن تدفع ثمنها للشعب الفلسطيني! قلت لـه: الحرام ما حرّمه الله، وأنا بهذه الصحف أعرف من هم أعداء الشعوب والإنسانية».

وفي موضع آخر ينقل هذه القصّة: «رأيت طالباً ـ وأنا في قم ـ يبرّر حرب الولايات المتّحدة في فيتنام، بل ويتحمّس لها ضدّ الشعب الفيتنامي!... وأظنّ أنّ الذي غرّر به سذاجة أُستاذه وإيمانه بأنّ شعب فيتنام لا يؤمن بالله، ومن ثمّة تجب

---

(١) الدكتور عبدالرزّاق أحمد السنهوري: كبير علماء القانون المدني في عصره. ولد في الإسكندرية سنة ١٨٩٥م، وابتدأ حياته موظّفاً في جمركها، وتخرّج من كلّية الحقوق بالقاهرة سنة ١٩١٧ م، واختير في بعثة إلى فرنسا سنة ١٩٢١م، فحصل على شهادة الدكتوراه في القانون والسياسة والاقتصاد سنة ١٩٢٦م، وتولّى وزارة المعارف بمصر عدّة مرّات، ومنح لقب باشا، واختير عضواً بمجمع اللغة العربية سنة ١٩٤٦م، وعيّن رئيساً لمجلس الدولة المصري من سنة ١٩٤٩ م إلى سنة ١٩٥٤م، واضطهد مدّة قصيرة. وقد وضع قوانين مدنية كثيرة لمصر والعراق وسوريا وليبيا والكويت، وحصل عام ١٩٧٠ م على جائزة الدولة التقديرية في العلوم الاجتماعية، وتوفّي بالقاهرة عام ١٩٧١م. من كتبه المطبوعة: الوسيط، نظرية العقد في الفقه الإسلامي، مصادر الفقه الإسلامي، شرح القانون المدني في العقود. (الأعلام للزركلي ٣: ٣٥٠، موسوعة المورد ٨: ٢٠٣).

إبادته، جاهلاً بأنّ الظلم إثم كبير بشتّى أنواعه»(١).

ويكتب أيضاً: «لو أنّ الفقهاء تجاوزوا أسوار النجف وكتبها المتوارثة، واطّلعوا على المنجزات الحديثة أو طرف منها في ميادين شتّى بخاصّة قوانين العصر واجتهاداته، وأعادوا النظر في التراث على ضوء أحدث المعلومات، لو فعلوا ذلك لأثروا الفقه الإسلامي، وكانت أفكارهم في الطليعة، وكانوا أبعد صيتاً في الشرق والغرب»(٢).

يرى الشيخ مغنيّة أنّ على الحوزات العلمية أن تبدأ نشاطاً ثقافياً واسعاً، يجب أن تصدّر الحوزات العلمية مختلف المجلّات والدوريات إلى كافّة البلدان الإسلامية. كما ينبغي أن تفيد من الأجهزة والإمكانيات العصرية كالتلفاز وغيره. يجب أن يصار إلى تنظيم الدروس الحوزوية، وتكون هناك امتحانات للطلبة. على الحوزة العلمية أن تعرّف نفسها إلى كافّة البلاد الإسلامية، كما يجب أن يكون للحوزة جهاز إداري متكامل، وكذلك يكون لها قسم خاصّ بالإفتاء.

المرجعيّة(*)

---

(١) تجارب محمّد جواد مغنيّة بقلمه: ٦٤.

(٢) المصدر السابق: ٦٢.

(*) قدّم مغنيّة أفكاراً ومقترحات محدّدة حيال المرجعيّة الشيعيّة، بما يحوّلها ليس إلى كيان يختصّ بالطائفة الشيعيّة وحدها، بل إلى موقع متقدّم على مستوى الأُمّة الإسلاميّة برمّتها. بالأخصّ وأنّ ذلك هو الذي ينسجم بنظره مع الواقع؛ لأنّ النجف في حقيقتها وواقعها جامعة إسلاميّة لا طائفية، عملت طوال ألف عام في خدمة الإسلام، ونشر تعاليم القرآن والسنّة النبويّة، وصانت شريعته من الجمود وتسرّب البدع وما يثير الشكوك والشبهات، وأنجبت ←

← للإسلام والمسلمين أضخم العقول وأغنى الأفكار.
من الأفكار التي عرض لها في هذا المجال:

أوّلاً: من الفرديّة إلى النسق المؤسّسي:

في المجال المرجعي طالب مغنيّة بإلحاح أن يصار إلى اعتماد تعريف واضح ومحدّد للمرجعيّة، بحيث يكون لها في ضوء ذلك قانون ونظام يحدّد اختصاص المرجع الأعلى، ويخرج المرجعيّة من نسق الأنظمة المتعدّدة التي يأخذ بها كلّ مرجع على حدة إلى نسق النظام الواحد. فالآن ليس للرئاسة تخطيط معروف، ونظام معيّن يلتزمه رئيس الحوزة والمرجع الأوّل، فكلّ مَن يتولّى الرئاسة له نظام مستقلّ قائم بنفسه.

هذه الفكرة نفسها هي التي تطوّرت بعدئذٍ عند الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر، لتكتسب تنظيرياً صيغة المرجعيّة الموضوعيّة أو المرجعيّة الرشيدة. أمّا الروح فهي مشتركة بين العلمين، حيث المطلوب تعريف واضح، والأخذ بنظام عامّ تتحرّك المرجعيّة على ضوئه، بحيث لا تكون عرضة للأوضاع المتقلّبة، أو تأثيرات الحاشية والأولاد.

ثانياً: من الحاشية والأولاد إلى نظام الكفاءة:

في إطار دعوته إلى بناء المرجعيّة على أساس تعريف محدّد للموقع والمسؤولية والأداء، أراد للمرجعيّة أن تخرج من النسق الفردي ونظام الحاشية وتأثيرات الأولاد؛ لأنّ النظام الحالي للمرجعيّة هو خليط «من حواشي والمستشارين». والمشكلة أنّ بعض هؤلاء هم «طلّاب عيش، لا طلّاب علم، ولا دعاة مبدأ، همّهم الأوّل والأخير أن يتسابقوا بين يدي الرئيس ومن خلفه والفوز بثقته التي تملأ جيوبهم»!.

ثمّ إنّ مغنيّة يحرص بدفعه المرجعيّة إلى النسق المؤسّسي (أو الموضوعي بتعبير الصدر) أن يتحرّر هذا الكيان ممّا يطلق عليه الشهيد مرتضى مطهّري في كتاباته الإصلاحيّة «آفة العوامّ»، ومن تأثيرات «دفعة المال» من الذين يسمّيهم مغنيّة «إحسان المحسنين»، وهم من تضطرّ المرجعيّة لمداراتهم حرصاً على المصادر الماليّة.

بل بلغ الأمر بمغنيّة حدّاً دعاه إلى مهاجمة قطّاع من دَفَعة الأموال بعنف، وحثّ المرجعيّة ←

← على مقاطعتهم وأموالهم، إذ يقول: «لو كنت المرجع الأعلىٰ في النجف الأشرف لرفضت المعونات من الأيدي القذرة التي تحاول التستّر بالإحسان الملطّخ بدماء الأبرياء».
الأهمّ من ذلك كلّه أنّ إعادة بناء المرجعيّة على نسق مؤسّسي منتظم يخلّص المرجعيّة بنظر مغنيّة من تأثيرات ضارّة، بل خطيرة لبعض أبناء المراجع؛ إذ ليس من الضروري أن يكون جميع أبناء المراجع على ذات الدرجة من الإخلاص والنزاهة التي عليها أبوهم، فـ«بعض أولاد العلماء يتآمرون على الناصح الأمين، ويدسّون عليه الدسائس والمفتريات؛ ليخلو لهم وجه أبيهم وللشياطين من أمثالهم.. ويقبضون الأجر بالعملة الصعبة والنقد النادر»!
كما يشير في نصّ آخر إلى التأثير السلبي لبعض أولاد المراجع من توجيه عقل المرجع. ففي «كلّ يوم يحمل بعض أولاد العلماء لآبائهم أحاديث وروايات ابتدعوها ظلماً وزوراً، ينالون بها من مقام المخلص الأمين، ويرفعون من شأن الخائن العميل»!
ربّما في هذا الكلام شيء من القسوة، وربّما يتحدّث النصّ عن واقعة محدّدة، إلّا أنّ المهمّ هو روح هذا التوجّه الذي يريد أن يتحكّم التنظيم بالمرجعيّة، وينفتح المجال لمساهمة الأكفّاء في العمل بمؤسّساتها، سواء أكان هؤلاء من الحواشي والأولاد، أم من الأباعد؛ لأنّ المقياس هو الكفاءة والنزاهة، وليس القرابة والنسب وحدهما.

ثالثاً: الجانب المالي:

من النقاط الأساسيّة التي أولاها مغنيّة عناية فائقة في نظرته التجديدية إلى المرجعيّة، هو: الجانب المالي من حيث المصادر، حيث سمعنا تحذيره المرجعيّة من أن تتورّط بجباية أموال تعرّض سمعتها للشبهة أو السؤال، ومن حيث تنظيم صرف هذه الأموال وإدارتها وحاجة ذلك إلى كفاءات نزيهة ومتخصّصة تمارس هذه المهمّة التي يرى مغنيّة أنّه لا ينبغي أن لا يكون فيها دور للمرجع سوى الإشراف والمتابعة والتوجيه، إذ ينبغي أن تناط المهمّة إلى «إشراف الأمناء الأكفّاء على الحقوق والأموال الداخل منها والخارج، والتوزيع بالعدل على مَن هو أهل دون الكسالى المتخمين الذين يسكنون الفيلات ويتنعّمون بمكيّفات الهواء والثلّاجات»!

←

→ **رابعاً: الجانب العلمي:**

وفي جانب آخر من مشروعه الإصلاحي يركّز مغنيّة على وظيفة المرجعيّة في تنظيم الوضع العلمي داخل الحوزة، بالدعوة إلى ضرورة تنظيم الدراسة، ووضع الضوابط، والأخذ بمبدأ الامتحانات والشهادة بالأخصّ، بعد أن « كثرت الدعاوى الكاذبة والألقاب الفارغة، وارتدى هذا الثوب من لا يمتّ إليه بسبب أو نسب».. ثمّ إنّ الحوزة ليست معصومة أو براء من النواقص، بل في «شيوخ الدين وسدنته الدعي والجامد والمنحرف».

خامساً: الجانب التبليغي:

وفي الجانب التبليغي والدعوي اقترح مغنيّة أفكاراً وبرامج ترجع المرجعيّة إلى مستوى الحضور الطليعي المكثّف والفاعل، ليس على صعيد الطائفة الشيعيّة وحدها، بل على مستوى العالم الإسلامي برمّته، كما مرّت الإشارة لبعض ذلك في الفقرات السابقة، مؤكّداً بالأخصّ على ضرورة توظيف المرجعيّة لوسائل الاتّصال الحديثة، وإعداد المبلّغين الواعين، واختيار «الأكفّاء ـ دون المحاباة ـ من أيّة فئة كانوا، يشرحون حقائق الإسلام ومبادئه بأوضح بيان، ويناقشون بالمنطق كلّ فكرة تتّهم الدين بالرجعيّة والتأخّر، ويحاربون البدع والأوضاع الشاذّة التي لا يقرّها العقل والدين»، كما سيأتي تفصيله أكثر في حديثه عن التبليغ الديني.

سادساً: التمييز بين العدالة والكفاءة:

يشير مغنيّة في حديثه عن الإصلاح الحوزوي في جميع مجالاته إلى نقطة أساسيّة وملاحظة منهجيّة مهمّة لا تزال تتمتّع بأهميّة فائقة برغم التطوّر الكبير الذي حقّقه الفكر الإصلاحي نظرياً.. تتمثّل هذه النقطة بالتمييز بين العدالة والكفاءة، فعدالة المرجع أمر لا ريب فيه، ونزاهته وأمانته حقيقة لا يرقى إليها الشكّ، بل الكلام في كفاءته وقدرته على تنظيم الأجهزة الحوزويّة وإدارتها في جميع ما يرتبط بالحوزة والمرجعيّة من شؤون داخليّة وخارجيّة..

يميّز مغنيّة بين الاثنين على أساس مثال دقيق، وهو يكتب: «الفرق بين العدالة والكفاءة كالفرق بين السلطة القضائيّة وبين القوى التي تحافظ على الأمن». فالعلم ينهض بالمهمّة

←

يرى الشيخ مغنيّة أنّ الفقه عند الشيعة الإمامية فيه متّسع لمن يريد أن يتّخذ من الشريعة الإسلامية أحكاماً تتمشّى مع كلّ زمان ومكان، ثمّ إنّ الشيعة يملكون كنوزاً ثمينة من الاجتهادات التي ترتكز على الكتاب والسنّة، ويملكون الإفادة منها في كلّ تشريع.

وفي ضوء هذه الرؤية يؤكّد الشيخ على القول: بأنّ مجتهد اليوم قد يستخرج من القواعد العامّة والمبادئ الشرعية حكماً جديداً لحادثة جديدة لا يعرفه المجتهدون الأوّلون، لا لأنّ اللاحق أعلم من السابق، بل لأنّ العالم الذي يعيش فيه أحدهما غير عالم الآخر[1].

← العلميّة داخل الحوزة على أفضل وجه، وهو «ينشر العلم، ويغرس في نفوس تلاميذه ملكة الاجتهاد، ويمرّن عقولهم على التمحيص والتحقيق». وهذا أمر لا ريب فيه، إلّا أنّه لا يعني بالضرورة كفاءة مماثلة في الإدارة والتنظيم، حيث إنّه «لا ترابط بين الاثنين».

وحتّى لو كانت للمرجع خبرة تامّة بالإدارة والتنظيم فهو أعجز من أن يقوم بالمهمّتين العلميّة والإداريّة معاً، لذلك يدعو مغنيّة إلى الفصل بين الجانبين في الشأن المرجعي، بحيث يتولّى الأُمور الإداريّة والتنظيميّة أكّفاء لهذه المهام، يقوم هو بمتابعتهم والإشراف عليهم.

لو أخذنا بهذا التمييز يسهل الإقرار بمبدأ مراقبة المرجع في جميع الأُمور ذات الصلة بالجانب التنظيمي والإداري، ففي الجانب المالي مثلاً «تأتي النجف أموال طائلة من بلدان الشيعة باسم الأخماس والزكوات، فيستقلّ الرئيس بالتصرّف بها، لا يسأله أحد: كم هي؟ ولا أين هي؟». مع مبدأ الفصل بين العدالة والكفاءة يغدو السؤال أعلاه عاديّاً، لا علاقة له بعدالة المرجع وأمانته وتضلّعه العلمي، بل له صلة بكفاءاته الإداريّة، وبتعبير مغنيّة نفسه: «لسنا نشكّ في نزاهته (المرجع) وأمانته، ولا في مقدراته وكفاءته في إلقاء الدروس، وحلّ المشكلات العلميّة، وصواب الأجوبة عن المسائل الدينيّة التي تتوارد عليه ليل نهار»، بل تنصبّ المسألة على الكفاءة، حيث هناك فرق بين «العدالة والكفاءة»، وليس ثمّ «ترابط بين الاثنين»، كما مرّ الكلام. (محمّد جواد مغنيّة.. حياته ومنهجه في التفسير: ١٣٤ ـ ١٤١).

(١) محمّد جواد مغنيّة (حياته ومنهجه في التفسير): ١٤٧.

ويكتب أيضاً قائلاً: «والحقّ أنّ عندنا رجالاً كرّسوا حياتهم كلّها للفقه وأُصوله، وأبدوا نشاطاً بالغاً، فهل تظنّ أنّنا سنجد أثراً لجهودهم واجتهادهم في أقوال الناس وأفعالهم؟! والذي أُريده وأعنيه أن يعالج فقهاؤنا مشكلة الإنسان في عصره، كعلاقة الإنسان بربّ العمل، والمستأجر بالمؤجّر، والمدين بالدائن، وسطو اللصوص على جهود المؤلّف والمخترع، وما إلى ذلك من علاقة الفرد بمجتمعه والأحداث اليومية التي تضغط على حياته وتفكيره وانفعاله، أن يعالج الفقهاء المعاصرون المشكلات المستحدثة التي تعمّ بها البلوى في ضوء القوانين الحديثة التي تطبّق وتنفّذ بقوّة السلاح، وعلى أساس الرؤية السليمة لشريعة الإسلام ونصوصه، وأن يهيلوا التراب على كلّ قضية تحدّث عنها الأقدمون مادامت لا تمسّ حياتنا بسبب»(١).

وفي مكان آخر يؤكّد الشيخ مغنيّة على أنّ لمهمّ هو العمل بروح النصوص لا بظاهرها، المهمّ الاهتمام بمقاصد التشريع.

ولذا يعتقد سماحته أنّه ينبغي للفقه أن يرتدي ثوباً جديداً، ويعرض بأُسلوب حديث.

ومن هذا المنطلق بالذات ولأجل تحقيق هذه الأهداف الكبيرة نجده يقدم على تأليف كتاب «فقه الإمام الصادق» و«تفسير الكاشف». كما ألّف كتاباً تحت عنوان: «الخميني والدولة الإسلامية»(٢).

والملاحظ أنّ مغنيّة قد تأثّر بآراء وأفكار الإمام الخميني كثيراً، ولذا تجده

---

(١) الإسلام بنظرة عصرية: ١٠١.

(٢) محمّد جواد مغنيّة (حياته ومنهجه في التفسير): ١٤٣.

يكتب حول الشروط التي يجب أن يتوافر عليها الفقيه، فيقول:

«وبعد.. فقد ذكر الفقهاء للمجتهدين شروطاً أشرت إليها في كتاب أُصول الإثبات، وفقه الإمام جعفر الصادق، وغيرهما، ممّا كتبت ونشرت، والآن أعطف على ما سبق الشرط التالي: كلّ شيء فينا وحولنا يتحرّك ويتغيّر، أردنا ذلك أم لم نرد، وعلى كلّ فرد أن يتحمّل مسؤولية هذه الحياة المتطوّرة المتغيّرة حسب ظروفه وكفاءته، وإذا كانت القدرة على استخراج الأحكام من الأدلّة الأربعة كافية وافية في مجتهد الأمس حيث كانت الحياة على وفاق ووئام مع الشرع الإسلامي وأحكامه ونصوصه، فإنّ مجتهد اليوم يجب أن يتوفّر له الوعي الديني المستنير المنفتح والوعي الزمني لمجرى الحوادث وحقائق الحياة من حوله، وأن يكون ذا فكر مبدع وخلّاق، وأن يتحرّر من القيود والتقاليد التي لا يفرضها عقل ولا دين؛ لكي يستطيع أن يوائم بين النصوص ومقتضيات العصر، وأن يقتبس من القوانين الحديثة ما يخدم الحياة وتسمح به شريعة الإسلام السهلة السمحة.. وبعد، فإنّ المجتهد المطلق حقّاً وواقعاً في عصرنا هو الذي يخلق ويبدع على أساس المصلحة وفي حدود المبادئ العامّة، أمّا «الظاهري» المغلق على عقله ودنياه فيستحيل الاجتهاد في حقّه، حتّى ولو حفظ آيات الأحكام وأحاديثها والمتون وشروحها، وثنيت لـه الوسادة، وألّف مئة كتاب ورسالة!»[١].

من هنا يرى مغنيّة أنّه في خصوص المرجعية ليس من الصحيح أن يرفع كلّ شخص راية لوحده، بما يوحي ـ وللأسف الشديد ـ أنّه لا يوجد هناك نظام معيّن وخطّ واضح فيما يرتبط بمنصب رئاسة الحوزة العلمية.

(١) الإسلام بنظرة عصرية: ١٠٣ ـ ١٠٤.

ويعتقد أيضاً أنّه يجب أن تخرج المرجعية من الحالة الفردية وتتّخذ طابعاً مؤسّساتياً[١].

تبليغ الدين(*)

(١) محمّد جواد مغنيّة (حياته ومنهجه في التفسير): ١٢٤ ـ ١٣٨.

(*) **التبليغ الديني:**

يعتقد مغنيّة بحقّ أنّ التبليغ الديني يواجه مشكلات أساسيّة فقد «تطوّر وتغيّر كلّ شيء، إلّا أسلوب الدعوة إلى الدين، وطريقة تقديمه إلى الناس».

وهو يريد للعمل التبليغي أن يكتسب صيغاً محدّدة من مؤهّلات العاملين فيه، والتخطيط، ووسائل التنفيذ، والرؤية العامّة التي تصدر منها المؤسّسة الدينيّة والجهات المعنية بأمور الدعوة إلى الإسلام. فالتعليم لم يعد كما هو في السابق، بل هو «في هذا العصر علم مستقلّ بنفسه، له أصوله وقواعده ودوره ومعاهده».

المبلّغ والعصر:

ولا غنى للمبلّغين والعاملين في الحقل الديني من أن «يلمّوا بالاتّجاهات الحديثة والفلسفة الشائعة، وأن يطوّروا أُسلوبهم في الدعوة والدعاية إلى الإسلام على هدى هذه الاتّجاهات والتيّارات، حتّى يتفاهموا مع شباب الجيل بمنطقهم ولغتهم».

وفي أخلاقيّة المبلّغ عليه أن يسعى للعلم والمعرفة دون انقطاع، وأن يعمل بما يعلم، ويلتزم بما يدعو إليه، وأن يرفق بالناس ويقف منهم موقف « لناصح المخلص، لا موقف الناقم الغاضب».

ومن الشروط الأساسيّة أن «يتعمّق الداعي المبلّغ في فهم الحياة وروح العصر الذي يعيش فيه، وأن يحيط بمصادر المعرفة الحديثة والفلسفات المناقضة للاتّجاهات الغيبيّة».

واقعيّة الخطاب:

من الضروري أيضاً أن تبتعد لغة التبليغ الديني عن الكليّات واللغة الخطابيّة والوعظيّة

←

في خصوص التبليغ الديني يعتقد الشيخ مغنيّة أنّه يجب على المبلّغين أن يفيدوا من جميع الإمكانيات والأساليب العصرية في سبيل خدمة الدين والتبليغ الديني، وعلى الحوزة العلمية أن تكون الرائدة في هذا المجال.

في حديثه عن المشاكل الأساسية التي تواجه التبليغ الديني يقول بالحرف الواحد: «تطوّر وتغيّر كلّ شيء، إلّا أُسلوب الدعوة إلى الدين، وطريقة تقديمه إلى الناس!».

ويرى أنّ التبليغ في هذا العصر يعدّ علماً مستقلّاً بنفسه، لـه أُصوله وقواعده

← المنفصلة عن سلوك المبلّغين من جهة، حيث يقول المبلّغ ما لا يفعل، وتلتصق بهموم الناس الواقعيّة، وتتوغّل في أعماق معاناتهم. فقد آل وضع الفكر في هذا العصر من زاوية ارتباطه بالوظائف الاجتماعيّة، وتقدّم الإنسان إلى إيمان «العلماء والفلاسفة في هذا العصر، بأنّ أيّة فكرة لا تخدم الإنسان وترفع من حياته وتحلّ مشكلة من مشكلاته، فهي مجرّد وهم وخيال».

ما يريده في هذا النصّ ليس الإذعان إلى بعض المقاييس الخاطئة في مناشئ الفكر وقيمته، إنّما التركيز على القيمة التغييريّة للفكر.

الرؤية المعاصرة:

بكلمة واحدة: يؤمن مغنيّة بحاجة الإسلام عامّة إلى طرح ورؤية معاصرة تملك مرونة كبيرة في الرفض والقبول بما يتلاءم مع روح العصر ومتطلّباته من دون تفريط بالثوابت؛ لأنّ «الإسلام ـ ما عدا العقيدة والعبادة ـ بحاجة إلى هذه الرؤية المعاصرة» التي يوضّح مغنيّة حدّيها كما يلي:

١ـ الرفض من القديم ما يجب رفضه في هذا العصر دون أن ينقص من الدين شيئاً؛ لأنّ المرفوض ليس من الدين.

٢ـ عرض ما ينطبق مع العصر، وتقبله النفوس، وتقرّه العقول، بما يتّفق مع مبادئ الشريعة، ولا يخرج عن ثوابت العقيدة والعبادة. (محمّد جواد مغنيّة.. حياته ومنهجه في التفسير: ١٥٦ ـ ١٥٨).

ودوره ومعاهده، كما يرى أنّ السبيل الوحيد للتواصل والتفاهم مع جيل الشباب من أيّ منطقة كانوا وبأيّ لغة تحدّثوا هو من خلال الإلمام بالاتّجاهات الحديثة والفلسفة الشائعة، وأن يطوّروا أُسلوبهم في الدعوة والدعاية إلى الإسلام على هدي من هذه الاتّجاهات والتيّارات، حتّى يتفاهموا مع شباب الجيل بمنطقهم ولغتهم[1].

الزي الديني

ممّا لا شكّ فيه أنّ المجتمع الإسلامي كان ولا يزال ينظر إلى الزي الديني الذي يرتديه علماء وطلبة العلوم الدينية بنظرة تشوبها الاحترام والتقديس. ولذلك يحاول البعض أن يسي إلى الحوزة العلمية وأبنائها من خلال الظهور بهذا الزي واتّخاذ سلوكية مشينة تتسبّب في تشويه سمعة هذا الكيان المقدّس.

ويمكن أن نذكر كمثال على ذلك الجاسوس مستر همفر والجاسوس دالغوركي اللذين كانا السبب في ظهور فرقتين ضالّتين، هما: الوهابية، والبهائية.

من جانبه يبدي محمّد جواد مغنيّة حسّاسية شديدة إزاء هذه القضية، حيث يرى أنّ هذا الزي لمّا كان زيّاً مقدّساً عند الناس والمجتمع إذن يجب على القائمين على الحوزة العلمية صيانة الحوزة من الأشخاص غير اللائقين بها، يجب على أصحاب هذا الزي الحقيقيّين أن يُلزموا المسؤولين والقائمين على الحوزة أن يدوّنوا قانوناً لطرد كلّ الجهلة والمرائين والأشرار من الحوزة، ومنعهم من التظاهر بهذا الزي.

(١) محمّد جواد مغنيّة (حياته ومنهجه في التفسير): ١٥٦

لو أنّ شخصاً مدنياً ارتدى زي الشرطة فإنّ القانون يحاسبه على ذلك، ألا يأتي ذلك اليوم الذي تراعى فيه شؤون من هذا القبيل بحقّ هذه الحوزة العظيمة؟!

ويرى الشيخ مغنيّة أنّ الحوزة إذا كانت عاجزة عن تأسيس هكذا نظام وقانون فالأولى لأفرادها ومنتسبيها أن لا يرتدوا هذا الزي الخاصّ، بل يظهروا بثياب عادية كسائر الناس، حتّى لا يستطيع الجهلة والمتسلّلين أن ينفذوا إلى الحوزة ويسيئوا إليها بأعمالهم(١).

مغنيّة والإمام الخميني

قد يحلو للبعض من السذّج أو المغرضين أن يوهموا للناس أنّ الشيخ محمّد جواد مغنيّة لم يكن على علاقة طيّبة مع الثورة الإسلامية وقيادتها المتمثّلة بالإمام الخميني ﷺ.

إنّ هؤلاء أغفلوا أو تغافلوا هذه الحقيقة، وهي أنّ الشيخ مغنيّة من الموالين والمحبّين للإمام الراحل (قدّس الله سرّه الشريف)، وأنّه يترسّم نفس المنهج والخطّ الفكري والسياسي الذي عليه الإمام الخميني، حيث كتب عن الثورة الإسلامية والدولة الإسلامية ـ والتي نادى بها الإمام الخميني ومن ثمّ شيّدها بنفسه الزكية ـ ما هذا نصّه:

«وصدع النبي ﷺ بأمره تعالى، وأسّس دولة السلام والمحبّة والرحمة والإنسانية، وانتشلت ملايين المعذّبين في الأرض من رعايا الإمبراطورية الرومانية المسيحية والإمبراطورية الفارسية المجوسية، ورحّب الكثير منهم

(١) مجلّة حوزة (مجلّة الحوزة) / العدد: ٦٨ / صفحة: ١٥٤.

بالإسلام والمسلمين؛ ليتحرّروا من ظلم القادة وطغيانهم، وينعموا في ظلّ العدل والرحمة. هذه هي دولة الإسلام التي يدعو إليها الإمام الخميني، ولأنّها رحمة للعالمين المسلمين وغير المسلمين يحاربها المستعمرون والصهاينة وأذنابهم الأدعياء والعملاء. ولكن الإيمان الحقّ الذي ليس بسلعة تباع وتشترى وتعار أقوى من كلّ سلاح ومن دول الضلال وأحزابه... وليست هذه فورة عاطفية، بل عين الواقع، والشاهد تاج الشاه الذي تحصّن بالمال والرجال وأسلحة الدمار ودول الشرق والغرب، ومع ذلك تحطّم على صخرة دين الخميني وإيمانه وعزم أنصاره وأعوانه في سرعة كأنّها لغز من ألغاز القرن العشرين.. وأخيراً هذه النبوءة التي جاءت في الجزء الثاني من كتاب «سفينة البحار» ص٤٤٦ طبعة سنة ١٩٣٦م نقلاً عن مصادر مضى عليها العديد من القرون، وهذا نصّها: «يخرج رجل من قم يدعو الناس إلى الحقّ، يجتمع معه قوم كزبر الحديد، لا تُزِلهم العواصف، ولا يملّون، ولا يجبنون، وعلى الله يتوكّلون، والعاقبة للمتّقين». وهذا الوصف أصدق وألصق بالإمام الخميني وقومه، حيث أمضى معظم حياته في مدينة قم درساً وتدريساً، وفيها أعلن الثورة على الشاه، ومنها نفي. أمّا دعوته فهي دعوة الحقّ والعدل التي يستجيب لها كلّ محقّ ومخلص، ويرهبها كلّ مبطل وآثم، والله ولي المتّقين»[1].

ويصف الثورة الإسلامية في موضع آخر، فيقول: «لقد أحدثت الثورة الإسلامية بإيران صدمة عنيفة لأعداء الإنسانية والإسلام»[2].

---

(١) من ذا وذاك: ٢٣.

(٢) نفس المصدر: ١٤٧.

الحكومة الإسلاميّة هي أفضل أنماط الحكم

ممّا لا ريب فيه أنّ الديمقراطية الغربية التي يراد لها أن تكون النموذج الأوّل الذي يحكم العالم برمّته، وذلك من خلال برامج التسويق الدعائي والإعلامي للاستكبار، أقول: هذا النمط يكشف عن عوراته وتداعياته يوماً بعد آخر، وهذا يعود أساساً إلى أنّ الديمقراطية في حقيقتها هي الاستكبار بعينه، لكن بقالب وثوب جديدين.

في هذا الخصوص يرى الشيخ مغنيّة أنّ الديمقراطية الغربية ـ والتي نشاهدها اليوم عند الغربيّين ـ لا تنتج سوى ثراء فاحش في جانب، وفي جانب آخر تنتج فقراً وبؤساً شديدين.

فالملاحظ أنّ الدول التي يحكمها النظام الرأسمالي بالرغم من أنّها تنتج أكثر من حاجتها فيما يرتبط بالملابس والأغذية وسائر أسباب العيش والحياة، لكن مع ذلك تجد ازدياداً في صفوف الفقراء والمعوزين ممّن لا يجد قوتاً يتقوّى به أو قطعة قماش يستر بها عورته.

والسبب في ذلك يكمن في النظام الديمقراطي الذي يتيح لأقلّية قليلة مجالاً واسعاً لاحتكار الثروة والسيطرة على مواردها، والنتيجة أنّ مصير الشعب يكون مرتهناً بإرادتهم وقرارهم.

نعم، إنّ أيّاً من النظامين الشيوعي والديمقراطي الرأسمالي ليس بمقدوره حلّ المشاكل الاجتماعية، كما ليس بمقدوره أن يمنح الشعوب والأُمم الحريّة.

ويقرّر الشيخ مغنيّة هذه الحقيقة، وهي أنّ من أكبر مساوئ هذين النظامين أنّه يكفي لدمار العالم والإنسانيّة... إنّ قيادة أحد هذين النظامين قد تتّخذ قراراً

خاطئاً بوحي من جنونها وأنانيتها، وعندئذ يتحوّل العالم إلى ركام من الخرائب! تصوّروا لو أنّ قيادة أحد المعسكرين (الشرقي أو الغربي) جنّ جنونها، فصدّرت أمراً بإلقاء القنبلة الذرّية على المعسكر الآخر، فحينئذ ستحلّ الكارثة بالعالم كلّه.

من جهة أُخرى يرى الشيخ مغنيّة أنّ السبب في كلّ هـذا الحـقد والعـداء البغيض الذي يكنّه الاستكبار للإسلام إنّما يكمن في حقيقة الإسلام وفي المضمون المعرفي العميق الذي يكتنزه.

وحول ذلك يكتب مغنيّة قائلاً: «أجل، إنّ الإسلام خطر كبير على العنصرية والصهيونية والرأسمالية والشيوعية، على الظلم والاستعمار والمستعمرين أعداء العدالة والحرية»[١].

(١) تجارب محمّد جواد مغنيّة بقلمه: ٣٦١.



الفصل التاسع:

وفاته



وفاته وتشييعه وعقبه

بعد عمر قضاه الشيخ مغنيّة في سبيل إعلاء كلمة الإسلام العزيز، وجهود خيّرة في سبيل التقريب بين المذاهب الإسلاميّة، وفي الساعة العاشرة في ليلة التاسع عشر من محرّم الحرام لعام ١٤٠٠ هـ ق، وعن عمر ناهز السادسة والسبعين، انتقلت روح هذا الرجل العظيم إلى الرفيق الأعلى أثر مرض قلبي لازمه عامين(*).

(*) **رحلة الأيّام الأخيرة مع الحسين:**

للشيخ مغنيّة علقة خاصّة بالإمام سيّد الشهداء الحسين بن علي عليه السلام، فلم يغرّه ما قدّم من مؤلّفات ومقالات وخطب ومواقف على كثرتها ونزاهتها، بل بقي دائماً يتوجّس ساعة الحساب بين يدي الله سبحانه. فمع أنّه تجاوز ما سمّاها العقبات الثلاث: «عقبة اليتم والتشريد، ثمّ عقبة الدرس وطلب العلم، وأخيراً عقبة التأليف والنشر»، إلّا أنّ القلق ظلّ يهيمن عليه أبداً من حساب الآخرة والمصير بين يدي الله: «ولكنّي أتخوّف كثيراً يوم البعث والحشر، وما تصوّرت موقفي بين يدي الله لنقاش الحساب إلّا اهتزّ كياني من خشيته، واضطربت أركاني من هيبته».

وهل للنجاة من محنة ذلك الموقف المهيب وألّا تنقلب أعمال الإنسان عليه حسرات، خير من سفينة الحسين سيّد الشهداء؟ كلّا، والله: «وهذا ما دفع بي إلى زيارة سيّد الشهداء عليه السلام في العشر المحرم من كلّ عام منذ سنة ١٩٦٨م مستشفعاً بفضل الله وكرمه، وبأهل الشفاعة من صفوة خلقه».

وماذا يريد مغنيّة وقد تجاوز ـ كما يقول ـ العقبات الثلاث؟

يجيب: «أريد من الحسين كلمة واحدة!».

→ يا لجلال الموقف! ما هذه الكلمة التي يبتغيها شيخ جليل ابيّضت شيبته في خدمة الإسلام والذبّ عن شريعة جدّ الحسين وأهل بيته؟

«لا أدعو عند رأس الحسين إلّا إذا خشع القلب ودمعت العين. وهذا دعائي، ولا أزيد عليه حرفاً واحداً: أنا لا أبكي عليك يا أبا عبدالله لأنّك في غنىً عن اللطم والبكاء، فمقامك عند الله لا يصل إليه إلّا من بذل في سبيل الله ما بذلت، وإنّما أبكي على نفسي ومن ذنوبي وخطاياي عند مرقدك الشريف، راجياً أن تشفع غداً وتقول ساعة الحساب: دعوا هذا العبد لي ومن أجلي. ولهذا وحده قصدتك ووفدت ضيفاً عليك، فهل تضيق برجائي هذا وسؤالي منك كلمة واحدة فقط لا غير تقولها غداً؟ وفي تقديري أنّك لا تبخل بها. كيف! وقد جدت بلحمك ودمك وأهلك وأصحابك من أجل المساكين والضعفاء».

هذا حال مَن لم يله عن نفسه بكتابه وقلمه والعمل من أجل الناس، بحيث تستغرقه هذه الهموم وتدفع به إلى الغفلة والغرور، ذلك أنّ «الشقي من انخدع لهواه وغروره»، كما في الحديث الشريف.

ومن حسن توفيقه أنّه أمضى أيّامه الأخيرة مع الحسين السبط، يتنقّل بجسده العليل وقلبه المتعب من مجلس حسيني إلى مجلس عزاء آخر، وهو يجهش بالبكاء أكثر من أيّ عاشوراء مرّت، وكأنّ نداءً علوياً يهتف به: إنّ عاشوراء هذه هي آخر عمرك من الدنيا.

لقد أطلّ محرّم عام ١٤٠٠ هـ، وقد تعذّر على الشيخ ذهابه إلى كربلاء المقدّسة لأسباب اختلط بها العامل الأمني مع الصحّي، لذلك راح يعوّض بمأتم الإمام سيّد الشهداء في بلده. حضر الليالي الأولى من المحرّم في حسينيّة النبطيّة بالجنوب، وفي الليلة الرابعة ذهب إلى حسينيّة صيدا، فطلبوا منه أن يلقي كلمة ـ ولو قصيرة ـ فاعتذر لمرضه، ولكنّه اعتلا المنبر بعد أن ألحّوا عليه ليقطع خطابه فجأةً، حيث تهاوى وغاب عن الوعي..

هبّ أربعة من الأطبّاء من حضور المجلس لإنقاذه بأسلوب الصدمات والتدليك، عندما استجاب القلب واستفاق مغنيّة من غيبوبته ليجد نفسه في غرفة العناية الفائقة في المستشفى، ألمّ به الألم أن لا يكون قد مات في الأيّام الحسينيّة هذه، وكم عاتب الأطبّاء الذين أنقذوه أنّهم فوّتوا عليه فرصة الموت من على منبر الحسين عليه السلام.

بقي أربعة أيّام في المستشفى، وعندما غادرها أصرّ على حضور المجالس الحسينيّة، فذهب

←

ثمّ نقل جثمانه الطاهر إلى مدينة النجف الأشرف، وشيّع تشييعاً يليق بمقام الشيخ مغنيّة، وقد صلّى على جنازته السيّد أبو القاسم الموسوي الخوئي، ثمّ دفن في إحدى حجرات الحرم العلوي المطهّر، وأعلن ذلك اليوم يوم عطلة رسميّة لمدينة النجف وحوزتها وأسواقها.

وقد خلّف الشيخ ولداً(*) واحداً، اسمه «عبدالحسين»(١).

← إلى ضاحية الأوزاعي، وفي اليوم العاشر من المحرّم كان في حسينيّة الغبيري.
عندما انتهت العشرة الأولى من المحرّم التي تمثّل الذروة في شعائر الإمام سيّد الشهداء لم يبق له إلّا رمق أبقاه على قيد الحياة أيّام معدودات. كان منكبّاً فيها على تأليف كتاب عن أهل البيت عليهم السلام، عمل به حتّى عصر يوم السبت ١٩/محرّم/١٤٠٠ هـ (٨ / كانون الأوّل/١٩٧٩ م) ليأوي إلى فراشه في الساعة التاسعة مساءً، حينما استفاق بعد نصف ساعة على نوبة قلبيّة حادّة، توفّي على أثرها في تمام الساعة العاشرة ليلاً عن عمر يناهز السادسة والسبعين.
في يوم ٢٢ محرّم نقل إلى العراق، وسار به من مطار بغداد موكب كبير إلى مدينة الكاظميّة المشرّفة، وبعدها إلى كربلاء المقدّسة، حيث زار الإمام سيّد الشهداء جدثاً مسجّى على الأعواد، خلافاً للسنوات العشر السابقة التي كان يمضيها إلى جوار الحسين في العشر الأوائل من المحرّم.
وفي اليوم التالي انطلق موكب التشييع بجثمانه إلى صحن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، يتقدّمه المراجع والعلماء والطلّاب والأهالي، بعد أن أعلنت الحوزة العلميّة عن تعطيل دروسها، وأقفلت المحلّات أبوابها، فصلّى على جثمانه المرجع الديني الراحل السيّد أبو القاسم الخوئي قدس سره، ليدفن بعدها في إحدى غرف الصحن الحيدري الشريف. (محمّد جواد مغنيّة.. حياته ومنهجه في التفسير: ٥٢ ـ ٥٥).
(*) كما قد خلّف الشيخ بنتاً واحدة أيضاً. لاحظ تجارب محمّد جواد مغنيّة: ١٥٥.
(١) محمّد جواد مغنيّة (حياته ومنهجه في التفسير): ٥٥.



فهرس المصادر



فهرس المصادر

١ ـ القرآن الكريم

٢ ـ أبجد العلوم .

تأليف: صدّيق بن حسن خان القنوجي البخاري المتوفّى سنة ١٣٠٧ هـ / تحقيق: أحمد شمس الدين / نشر: دار الكتب العلميّة ـ بيروت / الصبعة الأُولى ـ ١٤٢٠ هـ.

٣ ـ الأزهر في ألف عام.

تأليف: د. محمّد عبدالمنعم الخفاجي / نشر: عـالم الكتب ـ بـيروت ومكـتبة الكلّيات الأزهرية ـ القاهرة / الطبعة الثانية ـ ١٤٠٨ هـ.

٤ ـ الاستيعاب: الاستيعاب في معرفة الأصحاب .

تأليف: أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمّد بن عبد البرّ النـمري القـرطبي المـالكي المتوفّى سنة ٤٦٣ هـ / تحقيق: علي محمّد معوّض وعادل أحمد عبد الموجود / نشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٥ هـ.

٥ ـ الإسلام بنظرة عصرية.

تأليف: محمّد جواد مغنيّة المتوفّى سنة ١٤٠٠ هـ / نشر: دار العلم للملايين ـ بيروت / ١٩٧٣ م.

٦ ـ الإسلام مع الحياة: الإسلام مع الحياة (دراسة في ضوء العقل والتطوّر).

تأليف: محمّد جواد مغنيّة المتوفّى سنة ١٤٠٠ هـ / نشر: دار العلم للملايين ـ بيروت / الطبعة الثانية ـ ١٩٦١ م.

٧ ـ الإسلام والعقل.

تأليف: محمّد جواد مغنيّة المتوفّى سنة ١٤٠٠ هـ / نشر: دار ومكتبة الهلال ودار الجواد ـ بيروت / ١٩٩١ م.

٨ ـ أعلام الأدب المعاصر في مصر: أعلام الأدب المعاصر في مصر (عبّاس العقّاد).

تأليف: د. حمدي السكوت / نشر: مركز الدراسات الجامعيّة بالجامعة الأمريكية بالقاهرة ودار الكتاب المصري ـ القاهرة ودار الكتاب اللبناني ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤٠٣ هـ.

٩ ـ الأعلام للزركلي: الأعلام.

تأليف: أبي الغيث خير الدين الزِركْلي المتوفّى سنة ١٣٩٦ هـ / نشر: دار العلم للملايين ـ بيروت / الطبعة الثامنة ـ ١٩٨٩ م.

١٠ ـ أعيان الشيعة.

تأليف: محسن بن عبد الكريم الأمين العاملي المتوفّى سنة ١٣٧١ هـ / تحقيق: حسن محسن الأمين العاملي / نشر: دار التعارف ـ بيروت / ١٤٠٣ هـ.

١١ ـ الإكمال لابن ماكولا: الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والألقاب.

تأليف: سعد الدين أبي نصر علي بن أبي القاسم هبة الله بن علي بن جعفر العجلي الجرباذقاني البغدادي المعروف بابن ماكولا المتوفّى سنة ٤٧٥ هـ / نشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

١٢ ـ أمل الآمل.

تأليف: محمّد بن الحسن بن علي الحرّ العاملي المتوفّى سنة ١١٠٤ هـ / تحقيق: أحمد الحسيني / نشر: مكتبة الأندلس ـ بغداد.

١٣ ـ الأنساب للسمعاني: كتاب الأنساب.

تأليف: أبي سعد عبد الكريم بن محمّد بن منصور التميمي السمعاني المتوفّى سنة

٥٦٢ هـ / تحقيق: عبد الله عمر البارودي / نشر: دار الجنان ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤٠٨ هـ.

١٤ ـ أهل البيت (منزلتهم ومبادئهم عند المسلمين).

تأليف: محمّد جواد مغنيّة المتوفّى سنة ١٤٠٠ هـ / نشر: دار الجواد ودار التيّار الجديد ـ بيروت / الطبعة الثانية ـ ١٤٠٤ هـ.

١٥ ـ تاريخ ابن معين: التاريخ.

تأليف: يحيى بن معين بن عون المري الغطفاني البغدادي المتوفّى سنة ٢٣٣ هـ / رواية: العبّاس بن محمّد بن حاتم الدوري البغدادي المتوفّى سنة ٢٧١ هـ / تحقيق: عبد الله أحمد حسن / نشر: دار العلم ـ بيروت.

١٦ ـ تجارب محمّد جواد مغنيّة بقلمه: تجارب محمّد جواد مغنيّة بقلمه وقلم الآخرين.

إعداد: عبدالحسين محمّد جواد مغنيّة / تحقيق: رياض الدبّاغ / نشر: أنوار الهدى ـ قم / الطبعة الثانية ـ ١٤٢٧ هـ.

١٧ ـ التفسير المبين: التفسير المبين على هامش القرآن الكريم.

تأليف: محمّد جواد مغنيّة المتوفّى سنة ١٤٠٠ هـ / نشر: مؤسّسة عزّالدين ـ بيروت / الطبعة الثالثة ـ ١٤٠٣ هـ.

١٨ ـ تكملة أمل الآمل.

تأليف: أبي محمّد حسن بن هادي بن محمّد علي بن صالح الموسوي الصدر المتوفّى سنة ١٣٥٤ هـ / تحقيق: أحمد الحسيني / نشر: مكتبة المرعشي النجفي العامّة ـ قم / ١٤٠٦ هـ.

١٩ ـ تنقيح المقال: تنقيح المقال في علم الرجال.

تأليف: عبد الله بن محمّد حسن المامقاني المتوفّى سنة ١٣٥١ هـ / نشر: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ قم.

٢٠ ـ تهذيب الكمال: تهذيب الكمال في أسماء الرجال.

تأليف: جمال الدين أبي الحجّاج يوسف بن الزكي عبد الرحمان بن يوسف المزّي الكلبي القُضاعي المتوفّىٰ سنة ٧٤٢هـ / تحقيق: د. بشّار عوّاد معروف / نشر: مؤسّسة الرسالة ـ بيروت / الطبعة السادسة ـ ١٤١٥هـ.

٢١ ـ الثقات لابن حبّان: كتاب الثقات.

تأليف: أبي حاتم محمّد بن حبّان بن أحمد التميمي البستي المتوفّىٰ سنة ٣٥٤هـ / نشر: دار الفكر ـ بيروت / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤٠٢هـ.

٢٢ ـ جامع الرواة: جامع الرواة وإزاحة الاشتباهات عن الطرق والإسناد.

تأليف: محمّد بن علي الأردبيلي الغروي الحائري من أعلام القرن الحادي عشر الهجري / نشر: مكتبة المرعشي النجفي العامّة ـ قم / ١٤٠٣هـ.

٢٣ ـ الجامع في تاريخ الأدب العربي الحديث: الجامع في تاريخ الأدب العربي (الأدب الحديث).

تأليف: حنّا الفاخوري / نشر: دار الجيل ـ بيروت / الطبعة الثانية ـ ١٩٩٥م.

٢٤ ـ الجمع بين رجال الصحيحين: الجمع بين رجال الصحيحين بخاري ومسلم لكتابي أبي نصر الكلاباذي وأبي بكر الأصبهاني.

تأليف: أبي الفضل محمّد بن طاهر بن علي المقدسي الشيباني المعروف بابن القيسراني المتوفّىٰ سنة ٥٠٧هـ / نشر: دار الكتب العلميّة ـ بيروت / الطبعة الثانية ـ ١٤٠٥هـ.

٢٥ ـ الخلاصة: خلاصة الأقوال في معرفة الرجال.

تأليف: جمال الدين أبي منصور الحسن بن يوسف بن علي بن المطهّر الأسدي المعروف بالعلّامة الحلّي المتوفّىٰ سنة ٧٢٦هـ / تحقيق: جواد القيّومي الأصفهاني / نشر: مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين ـ قم / الطبعة الأُولىٰ ـ

١٤١٥هـ.

٢٦ ـ **دائرة معارف القرن العشرين.**

تأليف: محمّد فريد بن مصطفى وجدي بن علي رشاد المتوفّى سنة ١٣٧٣هـ / نشر: دار الفكر ودار نوبليس ـ بيروت / ١٣٩٩هـ.

٢٧ ـ **ديوان الإمام الشافعي: الديوان.**

جمع وتحقيق وشرح: د. إميل بديع يعقوب / نشر: دار الكتاب العربي ـ بيروت / الطبعة الثانية ـ ١٤١٤هـ.

٢٨ ـ **الذريعة: الذريعة إلى تصانيف الشيعة.**

تأليف: محسن أغا بزرك الطهراني المتوفّى سنة ١٣٨٨هـ / نشر: دار الأضواء ـ بيروت / الطبعة الثالثة ـ ١٤٠٣هـ.

٢٩ ـ **رجال النجاشي: فهرست أسماء مصنّفي الشيعة.**

تأليف: أبي العبّاس أحمد بن علي بن العبّاس النجاشي الأسدي المتوفّى سنة ٤٥٠هـ / تحقيق: موسى الشبيري الزنجاني / نشر: مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين ـ قم / الطبعة السادسة ـ ١٤١٨هـ.

٣٠ ـ **رياض العلماء: رياض العلماء وحياض الفضلاء.**

تأليف: عبد الله أفندي الأصفهاني المتوفّى سنة ١١٣٠هـ / تحقيق: أحمد الحسيني / نشر: مكتبة المرعشي النجفي العامّة ـ قم / ١٤١٥هـ.

٣١ ـ **ريحانة الأدب: ريحانة الأدب في تراجم المعروفين بالكنية أو اللقب.**

تأليف: محمّد علي بن محمّد طاهر المدرّس التبريزي الخياباني المتوفّى سنة ١٣٧٣هـ / طبع: مطبعة الشركة العامّة لطبع الكتب ـ إيران / الطبعة الثانية ـ ١٣٣٥هـ. ش.

٣٢ ـ **سير أعلام النبلاء.**

تأليف: شمس الدين أبي عبد الله محمّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي المتوفّى سنة ٧٤٨هـ / تحقيق: مجموعة من الباحثين / إشراف: شعيب الأرناؤوط / نشر:

مؤسّسة الرسالة ـ بيروت / الطبعة الحادية عشرة ـ ١٤١٧ هـ.

٣٣ ـ شخصيات لها تاريخ.

إعداد: عبدالرحمان المصطاوي / نشر: دار المعرفة ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٣ هـ.

٣٤ ـ شعراء الغري: شعراء الغري، أو: النجفيات.

تأليف: علي الخاقاني النجفي / نشر: مكتبة المرعشي النجفي العامّة ـ قم / ١٤٠٨ هـ / أُفست عن المطبعة الحيدرية ـ النجف / ١٣٧٣ هـ.

٣٥ ـ شيعة در مصر أز عصر إمام علي تا إمام خميني (الشيعة في مصر من عصر الإمام علي إلى عصر الإمام الخميني).

تأليف: صالح الورداني / ترجمة: قاسم مختاري / نشر: مركز النشر في منظمة الإعلام الإسلامي ـ طهران / الطبعة الأُولى ـ ١٣٧٦ هـ. ش.

٣٦ ـ الشيعة في مصر.

تأليف: جاسم عثمان مرغي / نشر: موسّسة البلاغ ودار سلوني ـ بيروت ودمشق / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٣ هـ.

٣٧ ـ الشيعة والحاكمون.

تأليف: محمّد جواد مغنيّة المتوفّى سنة ١٤٠٠ هـ / نشر: دار الجواد ودار ومكتبة الهلال ـ بيروت / الطبعة السادسة ـ ١٤٠٦ هـ.

٣٨ ـ صفحات لوقت الفراغ.

تأليف: محمّد جواد مغنيّة المتوفّى سنة ١٤٠٠ هـ / نشر: دار الكتاب الإسلامي ـ بيروت / ١٣٩٩ هـ.

٣٩ ـ طبقات الشافعية لابن هداية الله: طبقات الشافعية.

تأليف: أبي بكر بن هداية الله الحسيبي المريواني الكوراني الكردي المعروف بالمصنّف المتوفّى سنة ١٠١٤ هـ / طبع: مطبعة بغداد ـ بغداد / ١٣٥٦ هـ.

٤٠ ـ **عظماء الإسلام: عظماء الإسلام عبر أربعة عشر قرناً من الزمان.**

تأليف: محمّد سعيد مرسي / نشر: مؤسّسة اقرأ ـ مصر / ١٤٢٣ هـ.

٤١ ـ **علم أُصول الفقه في ثوبه الجديد.**

تأليف: محمّد جواد مغنيّة المتوفّى سنة ١٤٠٠ هـ / نشر: دار التيّار الجديد ودار الجواد ـ بيروت / الطبعة الثالثة ـ ١٤٠٨ هـ.

٤٢ ـ **علي والقرآن.**

تأليف: محمّد جواد مغنيّة المتوفّى سنة ١٤٠٠ هـ / نشر: دار الأندلس ـ بيروت / ١٩٦٠ م.

٤٣ ـ **فلسفة التوحيد والولاية.**

تأليف: محمّد جواد مغنيّة المتوفّى سنة ١٤٠٠ هـ / نشر: دار التبليغ الإسلامي ـ قم.

٤٤ ـ **الفوائد الرضوية: الفوائد الرضوية في أحوال علماء مذهب الجعفرية.**

تأليف: عبّاس بن محمّد رضا بن أبي القاسم القمّي المتوفّى سنة ١٣٥٩ هـ / طبع: إيران.

٤٥ ـ **الكامل في التأريخ.**

تأليف: أبي الحسن عزّ الدين علي بن أبي الكرم محمّد بن محمّد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري المتوفّى سنة ٦٣٠ هـ / نشر: دار الفكر ـ بيروت / ١٣٩٨ هـ.

٤٦ ـ **الكنى والألقاب.**

تأليف: عبّاس بن محمّد رضا بن أبي القاسم القمّي المتوفّى سنة ١٣٥٩ هـ / نشر: مكتبة الصدر ـ طهران / الطبعة الخامسة ـ ١٣٦٨ هـ. ش.

٤٧ ـ **گنجينه دانشمندان (كنز العلماء).**

تأليف: محمّد شريف رازي / نشر: الدار الإسلامية ـ قم / ١٣٥٢ هـ. ش.

٤٨ ـ **لسان الميزان.**

تأليف: شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفّى سنة ٨٥٢ هـ / نشر: مؤسّسة الأعلمي ـ بيروت / الطبعة الثالثة ـ ١٤٠٦ هـ.

٤٩ ـ مجلّة حوزة (مجلّة الحوزة).

نشر: إيران.

٥٠ ـ مجمع الرجال.

تأليف: زكي الدين عناية الله بن علي القهبائي المتوفّى بعد سنة ١٠١٦ هـ / تحقيق: ضياء الدين الأصفهاني / نشر: مؤسّسة إسماعيليان ـ قم.

٥١ ـ محمّد جواد مغنيّة (حياته ومنهجه في التفسير).

تأليف: جواد علي كسّار / نشر: دار الصادقين ـ قم / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٠ هـ.

٥٢ ـ مع الشيعة الإمامية.

تأليف: محمّد جواد مغنيّة المتوفّى سنة ١٤٠٠ هـ / نشر: مكتبة الأندلس ـ بيروت / الطبعة الثانية ١٩٥٦ م.

٥٣ ـ مع علماء النجف الأشرف.

تأليف: محمّد الغروي / نشر: دار الثقلين ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٠ هـ.

٥٤ ـ معارف الرجال: معارف الرجال في تراجم العلماء والأُدباء.

تأليف: محمّد بن علي بن عبد الله حرز الدين النجفي المتوفّى سنة ١٣٦٥ هـ / نشر: مكتبة المرعشي النجفي العامّة ـ قم / ١٤٠٥ هـ.

٥٥ ـ معالم الفلسفة الإسلامية: معالم الفلسفة الإسلامية (نظرات في التصوّف والكرامات).

تأليف: محمّد جواد مغنيّة المتوفّى سنة ١٤٠٠ هـ / نشر: دار ومكتبة الهلال ودار الجواد ـ بيروت / الطبعة الخامسة ـ ١٤٠٦ هـ.

٥٦ ـ معجم الأُدباء.

تأليف: شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي البغدادي المتوفّى سنة ٦٢٦ هـ / نشر: دار الفكر ـ بيروت / الطبعة الثالثة ـ ١٤٠٠ هـ.

٥٧ ـ **معجم رجال الفكر والأدب: معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام.**

تأليف: د. محمّد هادي عبد الحسين الأميني النجفي / الطبعة الثانية ـ ١٤١٣ هـ.

٥٨ ـ **معجم مؤلّفي الشيعة.**

تأليف: علي القائيني النجفي / نشر: مطبعة وزارة الإرشاد ـ إيران / الطبعة الأُولى ـ ١٤٠٥ هـ.

٥٩ ـ **معجم المؤلّفين.**

تأليف: عمر رضا كحّالة / نشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

٦٠ ـ **مفاهيم إسلامية في كلمات الإمام الصادق عليه السلام.**

تأليف: محمّد جواد مغنيّة المتوفّى سنة ١٤٠٠ هـ / نشر: بيروت.

٦١ ـ **ملحق موسوعة السياسة.**

تأليف: د. خليل أحمد خليل / نشر: المؤسّسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ٢٠٠٤ م.

٦٢ ـ **من ذا وذاك.**

تأليف: محمّد جواد مغنيّة المتوفّى سنة ١٤٠٠ هـ / نشر: دار الكتاب الإسلامي ـ بيروت / ١٩٧٩ م.

٦٣ ـ **المنتظم: المنتظم في تاريخ الأُمم والملوك.**

تأليف: أبي الفرج عبد الرحمان بن علي بن محمّد بن علي البكري البغدادي الحنبلي المعروف بابن الجوزي المتوفّى سنة ٥٩٧ هـ / تحقيق: محمّد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا / نشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٢ هـ.

٦٤ ـ **منتهى المقال: منتهى المقال في أحوال الرجال.**

تأليف: أبي علي محمّد بن إسماعيل المازندراني الحائري المتوفّى سنة ١٢١٦ هـ / تحقيق ونشر: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ قم / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٦ هـ.

٦٥ ـ المنجد في الأعلام.

تأليف: جماعة من المتخصّصين / نشر: دار المشرق ـ بيروت / الطبعة الحادية والعشرون ـ ١٩٩٦م.

٦٦ ـ موسوعة أُكسفور العربية.

إعداد: مجموعة من الباحثين البريطانيّين / ترجمة: مجلس من الأكادميّين / نشر: دار الفكر ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٩٩٩م.

٦٧ ـ موسوعة السياسة.

تأليف: د. عبدالوهاب الكيّالي بمشاركة جماعة من الاختصاصيّين / نشر: المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر ـ بيروت / الطبعة الرابعة ـ ١٩٩٩م.

٦٨ ـ موسوعة الشعراء والأُدباء الأجانب.

تأليف: د. موريس حنّا شربل / نشر: دار جرّوس برس ـ طرابلس (لبنان) / ١٩٩٦م.

٦٩ ـ موسوعة طبقات الفقهاء.

تأليف: لجنة علميّة في مؤسّسة الإمام الصادق بقم / إشراف: جعفر السبحاني / نشر: دار الأضواء ـ بيروت / ١٤٢٠هـ.

٧٠ ـ موسوعة الفلسفة.

تأليف: د. عبدالرحمان بدوي / نشر: المؤسّسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٩٨٤م.

٧١ ـ الموسوعة الفلسفية.

تأليف: لجنة من العلماء والأكاديميّين الروسيّين / إشراف: م. روزنتال و ب. يودين / ترجمة: سمير كرم / مراجعة: د. صادق جلال العظم وجورج طرابيشي / نشر: دار الطليعة ـ بيروت / الطبعة الثانية ـ ٢٠٠٦م.

٧٢ ـ موسوعة المورد.

تأليف: منير البعلبكي / نشر: دار العلم للملايين ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٩٨٠م.

٧٣ ـ نقد الرجال.

تأليف: مصطفى بن حسين الحسيني التفرشي من أعلام القرن الحادي عشر الهجري / تحقيق ونشر: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ قم / الطبعة الأولى ـ ١٤١٨ هـ.

٧٤ ـ هدية العارفين.

تأليف: إسماعيل بن محمّد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي المتوفّى سنة ١٣٣٩ هـ / نشر: دار الفكر ـ بيروت / ١٤٠٢ هـ.

٧٥ ـ هذه هي الوهابية.

تأليف: محمّد جواد مغنيّة المتوفّى سنة ١٤٠٠ هـ / نشر: دار الجواد ـ بيروت / الطبعة الثانية ـ ١٩٨٣ م.



فهرس العناوين



فهرس العناوين

الفصل الأوّل
مرحلة الطفولة والتحصيل الدراسي

الفصل الثاني
النشأة العلمية

الفصل الثالث
نشاطات مغنيّة الاجتماعيّة

الفصل الرابع
التقريب بين المذاهب

الفصل الخامس
شخصيّة الشيخ مغنيّة الخصائص والمميّزات

الفصل السادس
التأليفات

الفصل السابع
رحلة الجهاد

الفصل الثامن
أفكاره وآراؤه

الفصل التاسع

وفاته